١٠٧٤
دار م. النحاس

كبير

1074
HARLEQUIN

العريس الحاقد

سارا وود

www.elromancia.com

مـــرمـــوريـــة

العريس الحاقد

سارا وود

مضت عشرة اعوام منذ قادت شهادة كارولين في المحكمة، ادوارد إلى السجن... عشرة اعوام منذ حادث السيارة الذي أدى إلى قتل أختها... عشرة اعوام منذ خيانة حبيبها لها.

ولكن السنوات كانت جعلت من ادوارد رجلاً اكثر قوة وعنفاً. لقد تجرأ على العودة إلى اورنتي مرة أخرى، رغم الهمسات المتكتمة والنظرات المعبرة، وذلك لكي يستعيد الاحترام الذي فقده. كانت خطته تتطلب عروساً، ولكن، ها هي ذي كارولين تدرك مبلغ ما يتصف به ادوارد من حقد وقسوة.

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل - سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١دينار - مصر: ٤جنيه.

دعوة إلى كل المحبين.

نحن، سكان مدينة اورنتي، ندعوكم ببالغ السرور، إلى ان تعقدوا زواجكم في (مدينتنا).

تذكروا الأسطورة التي تقول: (ان أولئك الذين يعقدون زواجهم في اورنتي، سيدوم زواجهم طوال حياتهم).

دعونا إذن نساعدكم في اعراسكم. فقد زاولنا تحقيق الأحلام اكثر من مئة عام.

اورنتي . يافوتونيس

(اورنتي... حيث تتحقق الأحلام)

سارا وود

الطفولة في بورتسموث تعني، بالنسبة إلى "سارا وود"، ركبتين قذرتين وجدائل متطايرة في الهواءُ وسعادة لا تضاهى. وقد جعلها الفقر تتحول من طابعة على الالة الكاتبة ومؤجرة غرف على شاطىء البحر، إلى معلمة، إلى أن منحتها الكاتبة، أخيراً، الحرية التي يسعى إليها دمها الغجري.

سعيدة في زواجها، ولديها ولدان وسيمان ريتشارد، وهو متزوج، هادىء، وجدير بالثقة، ويعمل سائق شاحنة. وسيمون وهو صائغ فضة متنقل، وباني سقوف ولحام اوكسجين. وتعيش سارا في كورنيش في المنطقة الريفية. وأوقاتها تتناوب بين حياة الكاتبة المتألقة، وحبها المحموم للعمل في الحديقة والذي يسمح لها بالرجوع إلى قذارة الركبتين والخلو من المسؤولية، مرة أخرى.

Abir 1074

العريس الحاقد

سارا وود

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

كان عليها أن تعبر إلى هناك. ما هذا؟ حتى سيارات الرولز رويس تتعطل؟ وإلا لماذا يتمدد هذا الرجل تحتها؟ وأغلقت كارولين باب شقتها وقد خلب لبها شكل هذه السيارة ذات اللون الأخضر الداكن والتي كانت متوقفة على قطعة الأرض المهجورة بجانب منزلها. ومن تحت مقدمة السيارة، برز زوج من الأحذية الجلدية، وبركة زيت صغيرة.

فكرت في أنه رجل منهمك في العمل حقاً. وكان هناك مجموعة الطلاب البالغ عددهم إثني عشر تلميذاً. أما لماذا صعد ذلك الرجل بسيارته إلى حيث المبنى المهدّم، بالقرب من كاراج جدها، فهذا ما لم تستطع معرفته. وأزاحت إلى الخلف خصلات شعرها الأسود الكث الذي تشعث من جراء سرعة هبوطها السلم، وهي تعتزم ترك صاحب اللمبورغيني يغالب مصاعبه. وارتسمت على شفتيها ابتسامة بطيئة وهي تفكر في ما لا بد أن يعانيه ذلك المسكين الآن.

كان بامكانها أن تتجاهل ورطته تلك حيث أن جدها كان أمرها بأن تهتم بنفسها وبما يسرها ولو مرة واحدة، تاركة كل شيء آخر. وذلك منذ أخذ ديانا في رحلة علاجية بمناسبة ذكرى مولدها. ذلك أن العطلة الأسبوعية لا تكفي لتنفيذ الخطة التي كانت ديانا بحاجة إليها إذا شاءت الشفاء. ورغم أن كارولين كانت شديدة المحبة لهما، إلا أنها لم تكن

تملك لحظة فراغ لنفسها وذلك منذ جلوسهم إلى مائدة الافطار، إلى أن تجلس هي بجانب سرير ديانا تقرأ لها قصة مرفهة قبل النوم.

تقدمت نحو الطلاب وهي تهتف بصوت ودود: «مرحباً، للجميع.»

أجابوا بحماس: «مرحباً، يا آنسة بلايد.» فأشرق وجهها بالابتسام، ومطت جسمها البالغ مئة وتسعة وخمسين سنتمتراً لكي تتمكن من النظر إلى تلك السيارة الواقفة على مقربة منهم. ثم قالت: «أتراكم تدرسون متاعب الاقدام والعناية بها، هذه المرة، أم أنه زبون لجدي.» وكانت تشير بذلك، ساخرة إلى القدمين اللتين كانتا تبرزان من تحت السيارة. وتملكتها الدهشة وهي ترى القدمين تهتزان وكأنما سرتهما هذه النكتة الواهنة.

صاح جورج دونيز وهو يشير إلى من حوله لإفساح الطريق لها: «هناك ما هو أكثر من ذلك، يا آنسة بلايد. تعالي وانظري.»

همهمت راضية وهي تجيل نظرات خبيرة في السيارة. لا بد أنها تهدر أولاً، ثم تندفع لتسبق كل ما أمامها من سيارات، مخلفة وراءها عاصفة من الغبار. وابتسمت وهي تقول: «ان جدي سيهلك أسفاً لو علم أنه فاتته رؤيتها.»

تمتم جورج: «نعم. انها مهيبة، ومريحة للغاية.»

قالت موافقة: «انها كالحرير.» وأطلت برأسها إلى داخلها مادة يدها تمر بأصابعها على المقعد الجلدي. انها تعشق ملامسة الأشياء الناعمة الرقيقة. واستنشقت بعمق رائحة الجلد العابقة في الداخل. وما لبثت أن عبست وهي

تستغرب ارتداء صاحب السيارة بنطالاً من الكتان التبني اللون وهو يتمدد تحت السيارة. وخطر لها أن هذا الرجل الثري الذي حلّت به المتاعب، قد اختار الوقوف في هذه الطريق المؤدية إلى الحديقة ليتمكن من ارتداء شيء فوق ملابسه قبل أن يباشر في العمل تحت السيارة. كانت تتساءل عن كل ذلك بحيرة، ثم نظرت خفية إلى بركة الزيت، لتستنتج أنها تبدو... مصطنعة.

وأخرجتها ليندا بريل من كل هذه الأحاجي بقولها شبه حالمة: «يا للروعة والجمال.»

سألتها كارولين: «أتقصدين السيارة؟»

أجابت: «لا. بل أقصد صاحب السيارة. يا لجاذبيته، ويا لعينيه اللتين تذيبان الحديد.» وتنهدت بحرقة فتاة في السادسة عشرة.

قالت كارولين برصانة: «لا عجب إذن إذا كانت عيناه قد أحدثتا ثقباً في السيارة.» فانفجر الطلاب بالضحك، بينما تحركت القدمان بضيق.

عادت كارولين تقول: «أظنك رأيت صاحب السيارة وهو يدخل تحتها.»

أجابت: «نعم، وأنا أنتظر هنا إلى أن يعود فيخرج. إنه يبدو أجنبياً وشعره في غاية الغرابة بلونه الأشقر الذي يقرب من البياض.»

وفي الحال، تبادر إلى ذهن كارولين اسم ادوارد ما جعلها تصعق. لقد كان ادوارد ذا جاذبية غير عادية بشعره ذي اللون الأشقر الفاتح الذي كان يتكوم كالقشدة المخفوقة فوق جبهته

السمراء اللاتينية الشكل، مظهراً الفرق الصاعق بين اللونين.

وعادت إلى ذاكرتها تلك اللحظة التي غرقت فيها في حبه. لقد دخل إلى صفها، وكانت هي في الرابعة عشرة وكان هو يكبرها بعام واحد... طويلاً رشيقاً، دمه مزيج من البولندي والايطالي الصقلي، وقد جاء من شوارع سولارم المتواضعة، تنطق ملامحه بالتمرد والكبرياء والحذر.

قالت تخاطب ليندا: «إنني أفضل الرجال السمر.»

قال جورج يخاطب صاحب القدمين والبنطال البني، وذلك ببالغ الاحترام: «كيف تسير الأمور معك يا سيدي؟»

أجاب هذا: «عظيم.»

وارتاحت لجوابه إذ لم تعد بحاجة إلى التسكع هناك، ولكنها لم تستطع إلا أن تتمنى لو أنه ثري بحيث يفكر في شراء الكاراج، فيكون بامكان جدها، عند ذاك، أن يتقاعد ويريح نفسه من صرير الأجهزة والمحركات كل صباح، رغم معاونة العمال ومشاركة الطلاب له في العمل. وكان ينتهي من العمل وقد بلغ به الارهاق حداً كبيراً يزيده ديانا، وهي تلاحقه بمتطلباتها البريئة، مهما كان مقدار أنسه بوجودها معهما.

وبدا الحنان على ملامح كارولين وهي تتحول بنظراتها نحو الكاراج الصغير، وقد قامت فوقه شقتهما الضيقة بينما علقت على الباب لوحة مكتوب عليها للبيع. ثم عادت نظراتها إلى الأبنية المحترقة في محلة دالبن المهجورة على بعد ياردات قليلة، والتي كاد يحترق فيها بول بريل والذي هو زوج أم جورج وذلك عندما شب ذلك الحريق منذ عدة سنوات. كم كان ذلك المنظر مريعاً.

ولكن وجهها ما لبث أن أشرق بابتسامة عريضة، وهي تتذكر ما سبق وأوصاها به جدها بعدم التفكير في أي شخص ما عدا نفسها فقط هذا النهار. ولكن، ها هي ذي الآن بين مجموعة من طلابها، وسائق سيارة الرولز رويس يقوم باصلاحها دون خبرة مسبقة، تحاول ضبط الأمور، شاعرة، في نفس الوقت، بالقلق بشأن بيع الكاراج.

وأخيراً قالت بوجه مشرق: «حسناً، إذا كنتم جميعاً بخير، فانني سأترككم الآن إلى نزهة على الشاطىء. تسكعوا هنا، أيها الفتيان ولا تبارحوا، فقد يلقي اليكم المحسنون بقطع النقود.»

قهقهت ليندا ضاحكة وقالت: «إنني لن أغادر هذا المكان، ولو كنت أنت في السادسة عشرة مثلي، لبقيت أيضاً.»

قالت كارولين: «الحق معك، ولكنني تجاوزت هذه السن بعشر سنوات.» وابتسمت إذ تدرك كم سيبدو سنها هذا كبيراً في نظر ليندا، ثم تابعت تقول: «لا ينظر إلي الآن سوى رجل ذي معاش تقاعدي محترم.»

وهنا شعرت بشيء يصطدم بقدمها التي كانت تنتعل حذاءً مكشوفاً. كان قطعة نقود فضية بقيمة عشر بنسات. فرمشت بعينيها قائلة: «ما هذا الذي...»

فضحك الجميع وقالوا: «إنها قطعة نقود لفتاة متسكعة، يا آنسة بلايد.»

وصرخ جورج: «إنها من معاشه التقاعدي، لقد أصبت المرمى يا آنسة بلايد.»

قالت ببساطة: «إذن فهو صائب الحكم.»

وامتلأت نظراتها دفئاً وهي ترى ضحكهم، وتسمع دعاباتهم لها إذ يعتبرونها صديقة لهم. لقد توثقت الالفة بينها وبينهم على مدى السنوات. وأحياناً تتجاوز الألفة هذه حدودها، وشعرت بالأسف لذلك. إذ أخذ الطلاب يظنون أنها رهن اشارتهم في أية ساعة من اليوم، نهاراً وليلاً، ولكنهم بهذا، قد أدركوا أنها مستعدة لفعل أي شيء لأجلهم، وعلى الكفاح في سبيلهم إلى أن تسقط من الإعياء.

وإذا بقطعة نقود أخرى تصطدم باصبع قدمها، فوضعت يديها في جيبي البنطال الذي ترتديه وهي تفكر باستغراب في كيفية قيامه بهذا العمل من تحت السيارة حيث ضيق المكان لا يسمح به، وقالت متعجبة: «يبدو أنني أصبحت هدفاً للرماية. اسمع يا هذا. إنني مستشارة شؤون اجتماعية في مدرسة ثانوية، ولست شقاً في ماكينة لادخال قطع النقود.»

قال جو فيشر باعجاب: «إنه ماهر في الرماية.» فجثمت على الأرض بعد أن تملكها الفضول وهي تميل برأسها تحاول رؤية ما تحت السيارة، وإذا بها ترى رجلاً مكسواً بغطاء سابغ تبني اللون، مائلاً بظهره قليلاً نحوها ما منعها من رؤية وجهه، وذراعاً عارية لمعت فيها ساعة ذهبية في الوقت الذي اندفعت فيه قطعة نقود فضية في اتجاهها.

قالت: «ما هذا؟ اتمارس الرجم بالأحجار؟» ولما لم تحظ بجواب، عادت تقول: «لا بأس، إنني أقر بالهزيمة. ما الذي تفعله؟ جرب قذف دولار، بطاقة حساب في مصرف، قطعة ذهبية.» وكانت تغالب عبثاً، الضحك وهي تقول ذلك. ولكن، يا للجنون. إن الرجل ما زال لا يجيب... ووقفت حائرة

شاعرة بالهزيمة ثم، إذا بالقدمين تندفعان إلى الخارج، وانحبست أنفاس الفتيات حين برزت ساقان طويلتان انتهتا بوركين نحيفين. إنه أيضاً بادي الثراء كما أخذت كارولين تفكر وهي تتأمل بنطاله الثمين المكوي. واشتد فضولها وهي تتساءل من تراه يكون.

وما لبث أغلب بقية جسمه أن ظهر للعيان، ليروا أنه كان متمدداً تحت السيارة على عربة ميكانيكية حقيقية. وتزايد الغموض. ذلك أن الرجل الغني لا يحتفظ، عادة بعربة كهذه.

قالت ليندا: «أظنه ايطالياً، بالرغم من شعره الأشقر. انتظري إلى أن ترى وجهه.»

وانتظرت كارولين متلهفة إلى أن ترى لماذا أخذ رجل ايطالي أشقر يرشقها بقطع النقود...

وفجأة، تراجعت خطوة وقد انتابتها صدمة، وارتفعت يدها الصغيرة إلى فمها... إيطالي أشقر... حذاء ايطالي...

واقشعر جلدها واتسعت عيناها الكبيرتان ذعراً. وفجأة، لم تشأ أن تمكث بقرب ذلك الرجل الذي كان يرشقها بقطع النقود، أكثر مما فعلت، هذا فيما لو كان هو نفسه من تفكر فيه. وشعرت بقلبها يكف عن الخفقان، وبالأرض تميد تحت قدميها فحاولت أن تتمالك توازنها.

نعم، من الممكن أن يكون هذا الرجل هو ادوارد...

أخذت تتأمل القدمين، الساقين الرشيقين. كلا، لا يمكن هذا... إن هذا شخص آخر.. لماذا تبادر ادوارد إلى ذهنها؟ لا بد أنها جنت، إذ ليس باستطاعته أبداً أن يستأجر سيارة رولز رويس فكيف بأن يمتلكها؟ لا بد أنه... وابتلعت ريقها. كلا، لا يمكن أن يرغب في العودة رجل في وضعه. وهناك

العار، نظرات الاتهام، الصمت البارد الذي سيقابله به كل انسان... كل ذلك لا يمكن له أن يطيقه.

في ذلك الحين، كان قلبها يخفق لرؤيته، وتشعر بنفسها تكاد تذوب عندما يتحدث إليها أو يسمرها بنظراته.

ومنذ فراقهما منذ سنوات طويلة، لم تتغير مشاعرها تلك نحوه. وتجهم وجهها وهي تنبذ بحزم الأفكار التي اندفعت إلى ذهنها بأن ليس بين كل الشبان من تمكن من جعلها تشعر أنها في قمة السعادة كما كان ادوارد يفعل.

وتقلصت شفتاها ألماً. إنها لم تعد تريد أن تشعر بأنها تموت في أعماقها لأجل رجل رفضها وخانها بكل بساطة. وان هذا الرجل هو دون شرف أو ثبات. ولا عجب أن يتبرأ من ادوارد والداه اللذان كانا يحبانه إلى حد لا يوصف.

وتنفست بحدة، وهي تصفق بعنف باب نكريات مؤلمة مضت عليها عشر سنوات. هكذا كان تصرفها إزاء تلك المأساة. لقد أبعدتها عن ذهنها وأغرقت نفسها في العمل ليلاً نهاراً، ومن ثم اتخذت لنفسها سبيلاً خاصاً في الحياة.

وارتجفت شفتاها. منذ ذلك الحين حتى الآن، وكل كلمة، كل إشارة، كل وجهة نظر تقال على شاشة التلفزيون، تنبئها بالحقيقة القاسية وهي أن حبها لادوارد لم يندثر. لقد كان مكبوتاً فقط، وكان هذا يعني أنها حمقاء مجنونة، لأن الأحمق المجنون فقط هو الذي يستمر على حب من هو كذاب مخادع.

كان أمثال ادوارد من الرجال قد ولدوا لتعليل النساء بالآمال، ومن ثم يخدعونهن، يخيبون بذلك آمالهن تلك، ثم يختفون بعد ذلك. لقد كان جباناً. كلا، بل كان أسوأ من ذلك.

أسوأ كثيراً. وتملكتها التعاسة وهي تفكر بكل هذا.

جاءها صوت براد يقول: «هل أنت بخير يا آنسة بلايد؟»

أجابت وهي تسحب نفساً عميقاً: «إنني... آه، لقد تناولت كثيراً من الكعك الدسم أثناء الافطار. أخشى أن أتأخر عن الذهاب إلى نزهتي. هاكم ما تجمع عندي من قطع نقدية. كل إنسان يكافح ليحصل عليها. إسأله إن كانت تصلح لكي...»

ولم تستطع اكمال حديثها بعد إذ ابتدأت أعصابها تخونها وهي ترى جذع الرجل المتين البناء قد ابتدأ يظهر من تحت السيارة. وهتفت في أعماقها، إنه ادوارد... وسرعان ما استدارت وهي تقول بسرعة: «إلى اللقاء، يا شباب. عليّ أن أسرع بالذهاب.» وفي اللحظة التالية كانت تسرع الخطى نحو الشارع.

وتناهى إلى مسامعها صوت صرير عجلات العربة تخرج من تحت السيارة، فأسرعت تسير على الرصيف وهي تحدث نفسها، ليس هنالك سبب يجعلني أفترض أنه هو نفسه.. لا يوجد أبداً...

وقطع عليها تفكيرها صوت يناديها: «كارولينانانا.»

وشهقت متأوهة. وأسرعت الخطى مدعية بأنها لم تميز ذلك الصوت ولا تمديد لفظ اسمها بهذا الشكل الذي لا يمكن أن يقوم به أحد في العالم سوى ادوارد... ادوارد فقط بإمكانه أن يترنم حتى بالكلمة العادية. ذلك الايقاع الموسيقي المنغّم على الطريقة الايطالية مع النساء قد جعله مفضلاً عندهن على غيره من الرجال، فكان أن أفسده سهولة اكتسابه لقلوبهن. وانقبض قلبها ألماً وهي تتذكر تهافت النساء عليه.

«كارولينانانا.»

ولكنها تابعت طريقها عابسة، مدعية الصمم، إلى أن توقفت لدى سماعها صفيراً موسيقياً شجياً، وقد غمر الألم نفسها... فقد كان هذا هو النداء السري الذي كان متعارفاً عليه بينهما.

اندفعت المشاعر المدمرة تجتاح كيانها. الحب، الندم، العار، الغضب. إلقاء المسؤولية على الغير بشكل حقير. كان هذا فوق ما تستطيع مواجهته. وعادت تتابع طريقها وما زال الاضطراب يتملكها. ادوارد... لم تكن تتوقع رؤيته ولو بعد خمسين عاماً، كلا ولم تكن تريد ذلك.

لماذا جاء؟ ودار عقلها وهو يبحث عن سبب يجعله يستأجر سيارة للمباهاة بينما ليس في طاقته التبذير بهذا الشكل. فهو لم يدخل الجامعة قط. ثم تلك المدة التي أمضاها في... وعضت على شفتها محاولة تمالك مشاعرها. السجن. لقد أخذ السجن سنتين من عمره. ومع سجل مثل هذا، ما كان ليجد فرصة كافية تمكنه من اكتساب ثروة.

ها هي ذي تواجه، مرغمة، الحقيقة التي كانت تتجنبها. فقد أقسم أنه سيعود ذات يوم... وسيدخل الدهشة والاهتمام إلى نفس كل شخص.

وارتسمت أمامها صورة جعلتها تغمض عينيها محاولة التخلص منها وقد تملكها العذاب، ولكن لتصبح الصورة أكثر وضوحاً... وعندما عادت تفتحهما بعنف، كان هو ما يزال هناك... في المحكمة بعد صدور الحكم مباشرة، وهو ينقل نظراته بينها وبين من كانت يوماً صديقتها العزيزة،

جوليا وهو يلعنهما ويشتمهما، لأنهما تقدما بشهادتيهما اللتين دمرتاه.

لقد صرخ، حينذاك بألم، محطماً قلبها وهو يقاوم الشرطيين اللذين كانا يمسكان به، صرخ قائلاً إنه سيعود. إن الألم يحطمها الآن، كما حطمها في ذلك الحين، وادوارد يصرخ معلناً براءته إلى النهاية، غير معترف بذنبه. لقد صرخ عند ذاك (أقسم أنكم ستهتمون جميعاً عندما أعود مكتسحاً المدينة.)

وبوجه شاحب، اتجهت كارولين نحو المقهى على بعد عدة مئات من الأمتار. وتمنت لو لم يكن هذا اليوم هو السبت حيث لم يكن يوجد سوى عدد قليل من الزبائن، أغلبهم من الطلبة وأمثالها ممن اعتادوا النهوض من النوم للذهاب إلى المدرسة الساعة السابعة والنصف. كانت تفضل لو أن هناك جمعاً من الناس لكي تجد الأمان بينهم بوجوههم المألوفة، لأن يوم المحاكمة ذاك كان يوماً حاولت نسيانه دوماً، لتجده أمامها فجأة الآن، وهنا... ما لم تستطع احتماله.

وعاد الصفير مرة أخرى وقد ازداد ارتفاعاً والحاحاً، وكأنه ينتظر منها أن تستدير راكضة إليه كالكلب المطيع. وكاد يقف قلبها عن الخفقان وهي تتذكر كيف نعتها بأنها كلبة بينما عيناه تلتمعان بالكراهية وكل خلية من جسده تتوعدانها بالانتقام.

انتقام صقلي، حذر، هادىء، حاسم.

وها هوذا الآن هنا. ادوارد الذي تربى كصقلي نصف حياته، فهو يرعى حقده الكامن والذي سيذهب معه إلى القبر إذا هو لم يشف غليله. لقد اندمج الماضي بالحاضر بكل

قسوة.. كل شيء رأته وشعرت به ذلك اليوم في المحكمة، عينا ادوارد السوداوان الحاقدتان اللتان كانتا تحدقان فيها تدينانها، رشفها العصبي للماء الذي قدم اليها عندما خانها صوتها في الكلام، شعورها بالمرض والغثيان...

وجعلتها موجات الغثيان التي شعرت بها الآن، جعلتها تتعثر في سيرها، وتمالكت نفسها وهي تندفع إلى الأمام بعينين لا تريان. إن عليها أن تصل إلى قرب الجسر حيث المقهى والأمان الذي ينتظرها في داخله.

وفي الوقت الذي وصلت فيه إلى الجسر، توقفت أنفاسها وهي تشعر به خلفها شبه ملاصق لها، فشعرت فجأة بساقيها لا تقويان على الحركة. وقفت عند جدار منخفض ونظرت إلى ساقيها بارتباك، محاولة عبثاً تحريكهما.

تمتم ادوارد ببطء ورقة بإمكانها أن يحرك بها قلب أية امرأة: «مرحباً يا كارولين.»

وسرعان ما شملت جسدها رجفة، وتوقف ذهنها عن أي تفكير وحذر، لتحل بدلاً من ذلك بهجة عامرة دغدغت أحاسيسها باعثة إياها إلى الحركة. لقد كان حبها له ما زال هناك، كامناً في أعماقها رغم كل ما فعله. وصرفت بأسنانها وهي ترى ما فعله صوته الرقيق العاطفي في نفسها. كلا، إن هذا لا يخرج عن كونه نكرى من الماضي أو لعله ردة فعل لا غير.

ولما استدارت عنه بعنف بعد إذ سمعت تحيته عاد يقول: «استديري إليّ، يا كارولين.»

وسرت رقة صوته في كيانها، ليبدأ فيض الذكريات بكل قسوته، جارفاً كل الحواجز الهشة تاركاً

إياها وحيدة عاجزة لا ترى أمامها سوى شخص ادوارد.

رفعت وجهها نحو شمس الصباح الدافئة، ورأت نفسها بجانبه في أول أيام حبهما. وضاقت عيناها اللتان أظلمتا بالغضب. نعم، لقد علمها كل ذلك، فماذا كان جزاؤه منها؟

قالت بصوت خشن: «لا أريد أن أراك ولا أن أسمعك. إنني ذاهبة إلى المقهى.» كانت خائفة، لا تريد أن تنظر إلى وجهه. إنه الرجل الذي أحبته وتألمت لأجله، وخانته.

قال ببطء: «ولكن بإمكانك أن تواجهيني. لا يمكنك الهرب من أخطائك إلى الأبد.»

استدارت إليه ذاهلة وكل خلية في جسدها ترتجف لما في قوله هذا لها من ظلم. لقد ثار طبعها الايرلندي الحاد وهي تستشعر مرارة الندم لمنحها قلبها إلى رجل مخادع.

وصرخت: «إنك أنت الخطأ الذي وقعت أنا فيه يا ادوارد. لقد كنت أنت الخطأ. إن مجيئك إلى عالمي هو أكبر خطأ.» ورفعت يدها لتسدد صفعة مدوية إلى وجهه الساخر، ولكنها سرعان ما أطلقت صرخة ندم استدارت بعدها تبغي الهرب، وقد انتابها الذهول لمنظر فمه المتوحش وعينيه الحاقدتين.

لكن يده الضخمة قبضت على ذراعها توقفها عن التقدم وهو يقول بهدوء خطر: «تلك الصفعة، يا كارولين، هي غلطتك.»

قالت وهي ترتجف: «إرفع يدك عني.» ها قد عادا فالتقيا مرة أخرى، حيث أشعل التوتر الذي بينهما النار في أحاسيسها. وجذبت ذراعها من يده بذعر، وقد غاص قلبها.

إن بامكانها التصرف في هذه الحالة. فهي لم تعد

مراهقة، لقد اعتادت في مهنتها مواجهة المتاعب. وحدثت نفسها بأن هذا أمر في غاية السهولة.. ولكنها كانت تعلم أنها كاذبة لأنها كانت متورطة عاطفياً في هذا الأمر ما جعله مختلفاً عما اعتادته في مهنتها.

قال: «إنني لن أتركك الآن، إذ أن لدي، أولاً، شيئاً لك، يا كارولين.» ثم استدار نحوها لينظر في عينيها نافذاً إلى أعماقها بعينيه الحالكتي السواد.

وكانت هي تحدق في أثر صفعتها على وجهه، كالمنومة مغناطيسياً.

ثم قالت بصوت منخفض: «ليس لديك أي شيء لأجلي.»

كان قد تغير. أصبح أكبر حجماً، وأكثر خشونة. وكانت عيناه القاسيتان تفيضان بالكراهية. ومع هذا، ومهما كان مقدار ما عاناه من مشقات، فانه مازال ذا مظهر لافت بجماله، فشعره الأشقر على بشرته الصقلية السمراء، كان يجتذب النساء من كل الأذواق والأعمار، ولم تكن هي ذات مناعة ضد ذلك، وارتجف فمها بزفرة مكتومة.

أجابها متمتماً: «بل لدي أكثر مما تظنين.»

قالت بهدوء: «ذكريات فقط.»

أغانيهما معاً، رحلاتهما على زورق مسطح في نهر لواسكس، الأيام التي كانا يمضيانها، بكسل، يبنيان قصوراً من الرمال. الضحك. الحنان.

وتنفست بسرعة وهي تشعر بالذنب، إذ أدركت أنه يراقبها بعينين لامعتين لا يمكن سبر غورهما. وكان أثر الصفعة على وجهه قد استحال إلى لون الدم.

قال ساخراً: «هل انتهيت من تأملي؟ أتراني تغيرت كثيراً؟»

هزت كتفيها متظاهرة بأن هذا ما كانت تفعله وما زالت. مبدية دهشتها لأناقته البالغة. ومع ذلك، فان القسوة في عينيه الماكرتين كانت تشير إلى الخطر.

أجابت بصوت أجش: «تغيير قليل.. إنك مازلت من الغرور بحيث تتصور أن النساء رهن اشارتك. دعني أذهب وإلا صرخت.»

ضاقت عيناه. ودار رأسها وقد عادت إلى ذاكرتها تلك الساعات الهانئة التي كانا أمضياها معاً، ما ملأ قلبها بألم هائل. وعندما بقيت صامتة، ابتسم ظافراً وهو يرى الوحشة ترتسم على أساريرها.

قال: «أريد من وقتك خمس دقائق لا أكثر، في الوقت الحاضر.»

خمس دقائق؟ إن بامكانها أن تحتمل هذا، ومن ثم تمحوه من حياتها مرة أخرى، فسألته باقتضاب: «ما الذي تريده؟»

بدت على شفتيه ابتسامة ساخرة وقال: «إنك تركت هذه خلفك الآن فقط. إنها لك. أضربيه بعشرة تكونين قد حصلت على ثلاثين قطعة من الفضة.»

كان يتكلم ببطء ولهجة ذات معنى. وقبل أن تدرك ما يعني بكلامه، كان قد أسقط في جيب بنطالها الثلاث قطع الفضية بما كان ملتصقاً عليها من تراب وغيره.

احمر وجهها غضباً وقالت: «أيها المتوحش، لقد جعلتني أشعر بالقذارة من الداخل.»

أجاب بلهجة ذات معنى: «كارولين، لقد كنت أظن فيك القذارة من الداخل قبل الآن.»

انتفضت قائلة: «ولكنني اغتسلت جيداً.»

قال باقتضاب: «انك تبدين نظيفة، إنما لا يوجد هنا شرف ولا وفاء.» وأشار بيده إلى قلبها وهو يتابع قائلاً: «عندما تتخلى المرأة عن الاحتشام تبدو على حقيقتها، فالمرأة التي تسييرها عواطفها، لا يهمها سوى نفسها.»

وللحظة، فقدت كارولين القدرة على النطق، وشيئاً فشيئاً أخذت عيناها تتسعان، ثم شحب وجهها، ثم عاد فازرق لونه تبعاً لتقلب مشاعرها من الصدمة إلى الشعور بالعار، ثم الثورة العنيفة، وهي تقول بمرارة: «يا لك من منافق. لقد كنت أظن أن ما كان بيننا علاقة حب. لم أكن أشعر بالعار من ذلك حينذاك.. ولكنني الآن أشعر بالعار بأقصى معانيه. لقد ائتمنتك على أدق أسراري... ولكنك غدرت بي. وأنا سأبقى احتقرك طوال حياتي لأخذك براءتي ثم خيانتي بعد ذلك.»

قال ببطء: «وهل تعتبرينني وحدي المسؤول عن وقوعك في الحب؟»

حنت رأسها وهي تلوم نفسها لوضعها ثقتها به، ثم قالت: «لقد كنت.. كنت بريئة ولم أكن أعلم أنني كنت...»

قال يكمل كلامها: «كنت توصلينني إلى نقطة اللارجوع، فهل أنا الملوم إذ وجدت من غير الممكن مقاومتك، أم أنك أنت الملومة لعدم إدراكك مبلغ السذاجة في تصرفاتك بالنسبة إلى مراهق ذي دم صقلي؟»

قالت بهدوء: «نحن الاثنان ملومان.»

قال ساخراً: «ها نحن نتقدم أخيراً. فهنالك مشاركة في

اللوم على الدوام يا كارولين.. تذكري هذا... اجعليه في رأسك الجميل وفكري فيه، ثم تذكري أننا كنا حبيبين.» قال ذلك برقة وكأنه كان يتذكر مسروراً، متابعاً: «كنا حبيبين.»

شعرت بالحرارة تسري في عروقها. لقد هزها الدفء في صوته والذي أعاد إلى ذاكرتها ذكرى لياليهما السابحة في ضوء القمر والنجوم. وأخفت ما بدا في عينيها من تعاسة ووحشة، بأهدابها الكثيفة. يا ليتها لم تسمح له، حينذاك بالتأثير عليها، ما أوصلها إلى نقطة اللارجوع تلك، ذلك الخطأ الفادح الناتج عن تلك الكلمة، أحبك. فقد كان لا يحب سوى نفسه. وعضت على شفتيها توقف ارتجافهما...

قال بتوتر: «خذي قطع النقود. فهي تمثل خيانتك، لقد سلمتني بثلاثين من الفضة.»

انتفضت قائلة: «وماذا كنت تريدني أن أفعل في المحكمة؟ أن أبقى ساكتة؟ أن أشهد زوراً؟» سألته ذلك بصوت يتهدج بالمشاعر، ذلك أنها فكرت في هذين الخيارين، ولكنها فضلت إطاعة ضميرها.

أجاب بهدوء: «كنت أريدك أن تصدقيني.»

صرخت بضيق: «كان هذا مستحيلاً، فقد كنت أعرف ما رأيت. من فضلك، يا ادوارد، لا تتطرق إلى هذا الموضوع مرة أخرى. ما الفائدة من نبش الماضي واتهام الواحد منا للآخر؟ دع الأمور وشأنها.» وكان التوسل يبدو في صوتها.

أجاب: «لا أستطيع. أتمنى لو بإمكاني أن أذهب بعيداً في هذه اللحظة. ولكن الذكريات قد أعادتني، وليس باستطاعتي الهرب منها بعد الآن.»

ولا هي تستطيع، إن كل ما بامكانها التفكير فيه حالياً هو

كيف يكون حالها لو عادا إلى حبهما من جديد؟ وخافت أن تفضحها نظراتها. إن عليه أن يذهب. الآن، وذلك قبل أن تقول أو تفعل شيئاً تندم عليه بقية حياتها. ويكفي ما سبق وندمت عليه.

قالت بفتور: «عليك أن تترك المدينة وإلا...»

تمتم قائلاً: «وإلا ماذا؟ هل ستستدعين الشرطة مدعية بأنني أضايقك؟»

قالت: «إنني لا أريد ذلك، ولكن قد أفعل هذا، إذا أنت دفعتني إليه.»

قال: «ثم يقبضون علي.»

قالت: «لن يكون هذا إذا أنت رحلت.»

قال: «هل ستسببين لي المتاعب مرة أخرى لا لشيء إلا لأنه ليس بامكانك التحكم بمشاعرك نحوي؟ كما حدث في الماضي؟»

لم يكن يبدو عليه أي شعور بالخجل أو بالذنب، أو أي إدراك لما كان عليه من خطأ، وشعرت بالشحوب يكسو وجهها، وبضربات قلبها تتصاعد. فشهقت قائلة: «لقد كانت الشواهد ثابتة. فقد كنت تقود سيارتك ليلة الحادث. ولكنك بقيت تنكر ذلك ومازلت تنكر بكل عناد، ولكنني رأيتك وكذلك رآك عشرات من الناس. وليس لدي أي شك في أنك كنت تقود السيارة التي... التي..» وارتجفت، ولكنها أرغمت نفسها على الكلام مهما آذاها ذلك، وتابعت تقول: «التي قتلت أختي... وطفلها.»

واعتصر الألم قلبها وهي تتذكر آخر مرة رأت فيها أختها فيرا وطفلها غابي حيين... كانتا تغرقان في

الضحك عندما كان غابي الصغير يحاول أن يأكل بيده فيغرقهما برشاش خبيصة الموز والتفاح. وصعدت غصة إلى حلقها. وصرفت بأسنانها تغالب دموعها.

توترت شفتا ادوارد غضباً وقال: «كيف كان بامكانك أن تصدقي ذلك، فهذا ما لن أستطيع فهمه...»

ابتدأت تقول بتعاسة: «لقد قالت جوليا...»

فقاطعها قائلاً بخشونة: «أما ما أقوله أنا فهذا لا يهم. ألست أستحق شيئاً من الوفاء؟ لقد كنت حبيبك. وانني، لهذا، أستحق أن تستمعي إلى كلامي. ولكنك لم تفعلي. كيف تظنين شعوري وأنا أراك تتخلين عني؟»

قالت باكية: «إنني أطلب منك لآخر مرة، أن تدعني بسلام.»

قال بمرارة: «بسلام؟ إنني أطلب دوماً أن يرفرف السلام على حياتي. لو أنك صدقتني فقط، لكانت حياتي، قد انتعشت من كل ناحية. ولكنك بدلاً من ذلك، محوت كل ما كان بيننا، وكل مبادئي عن الشرف والحياة والنساء، وهبطت إلى مستوى الكلبة التي تنكر الكلب الذي تريده.»

حاولت أن تتنفس وقد امتلأت عيناها الكبيرتان ألماً. ادوارد وجوليا... حبيبها، وأفضل صديقاتها. ما كان أصعب احتمالها لرؤيتهما معاً تلك الليلة، والأسوأ من ذلك رؤية السيارتين تصطدمان بينما كانت تعلم أن كلا من السيارتين فيها من تحب.

وضعت يديها على أذنيها وهي تتمنى أن تطرد صوت جوليا وهي تصرخ في تلك الليلة الهائلة، ليلة الاصطدام، لا تريد أن تتذكر وجه ادوارد الشاحب وهو يهز جوليا بعنف

صارخاً بها أن تخرس، وذلك قبل أن ينحرف بسيارته بعيداً عن سيارة فيرا.

لقد تغير. لم يعد فيه أية رقة الآن. وارتجفت. وتساءلت ما عسى لسنتين في السجن أن تحدثا في فتى كان مشغوفاً بوالديه وبالإستمتاع بالحياة، جم التفاؤل؟ وأثناء كل عيد مر عليها، كانت تفكر، وهي تحتفل به مع جدها وديانا، كانت تفكر في ادوارد متسائلة عما تراه يفعل. ذلك أنه كان وحيداً ولم يكن يحظى بزيارة من أحد. وأشاحت بوجهها وقد امتلأت عيناها دموعاً.

قالت بخشونة: «إنه السجن، لقد أحالك السجن إلى وحش...»

واختنق صوتها بفعل المشاعر المضطربة، كانت المشاعر قد دمرت جزءاً من شخصيته، هو أيضاً، أو ربما هي ذكريات الأيام المظلمة التي أمضاها في السجن.

وأجفلت لما أحست بعطف صادق يبدر منه تجاهها، هو في غير موضعه.

قال بعنف: «إنك أنت التي أحلتني إلى وحش.»

واكتسحها شعور بالغثيان، فوضعت يدها على فمها بسرعة وهي تغالب غصة صعدت إلى حلقها.

تنفس بصعوبة وهو يرمقها بعينين قاسيتين جعلتاها تجمد في مكانها، ثم قال ساخراً: «وهكذا تظنين نفسك تتألمين، بينما لا تشعرين حتى بأنك حية. ولكنك ستشعرين قريباً بذلك.»

وبدا عليه غضب بالغ، فساورها إحساس بالظلم وكأنه كان يخطط، طوال السنوات الماضية، للانتقام. ونظرت

حولها بعصبية آملة أن ترى من تعرفه، ما قد يساعدها على الهرب من ادوارد، ولكن الشارع كان خالياً. وعلى كل حال، كانت تعلم أن أملها الوحيد كان في أن تحمله على الرحيل، فهو إذا بقي فترة مهما كانت مدتها، فسيعلم بأمر ديانا.

وتملك قلبها الرعب لهذه الفكرة. عليها أن تخفي أمر ديانا عنه، وإلا لعمل كل ما في استطاعته لكي يأخذها منها، عند ذلك ستبكي المسكينة ديانا وستصرخ دون أن يهتم هو لذلك مقدار ذرة.

وغمرها شعور رقيق بالرغبة في الحماية وهي تتصور ذلك المشهد المرعب. يجب ألاّ يحدث هذا أبداً. ولهذا يجب أن تتأكد من أن ادوارد سيرحل الآن.

ورفعت رأسها بحدة وهي تزم شفتيها عزماً وتقول: «كان من الجنون قدومك إلى هنا، إذ أنهم سيعرفونك في أية لحظة، مما يجعلهم يتحينون الفرص لمعاقبتك.»

قال بلهجة حاقدة: «وأنت؟»

أجابت: «سأساعدهم على ذلك. إنك لا تدرك، في الواقع، مدى قسوة شعور البعض هنا نحوك، إن لهم ذاكرة قوية.»

قال بهدوء: «وكذلك أنا.» واكتسح وجهها بنظراته ما جعلها تتورد خجلاً، بينما تابع قائلاً: «إن الذكريات تجعلني مليئاً بالرغبة... بالعمل.»

سألته وهي تبلل شفتيها الجافتين: «مثل ماذا؟»

ابتسم بفتور ولم يجب عن سؤالها بل سألها قائلاً: «أتظنين حقاً أنه مازال ثمة مشاعر سيئة في هذه المدينة نحوي؟ حتى بعد كل هذا الزمن؟»

قالت: «إنني أعلم أنه يوجد ذلك.» ونظرت إليه متوسلة

وكأنها تقول له أن يرحل ويتركهم بسلام، ولكنه وقف عاقداً ذراعيه فوق صدره بكل ثقة وهو يقول: «هذا شعور سيىء. في منتهى الغرابة.»

سألته: «لماذا؟»

أجاب باسماً: «لأنني عدت لكي أقيم هنا.» ومشى متجهاً نحو منزلها بينما وقفت هي تنظر إليه مذعورة.

الفصل الثاني

كان هذا حلماً، بل كابوساً. ولكن كارولين رأت ذلك الرجل الطويل القامة يستدير مبتسماً لها.

كان بإمكانها تجاهله ومتابعة طريقها إلى نزهتها، ولكنها نفت من ذهنها هذا الخاطر، فسعادة ديانا تأتي أولاً. ذلك أن آخر شيء تريده هو أن يكتشف ادوارد أنها لم تعد تعيش مع جدها بمفردها، هذا إذا كان من انعدام الاحساس بحيث يبقى قريباً من هنا فيسمع كل ما يريد أن يعلمه.

كانت ديانا بحاجة إلى الاستقرار اكثر من أيّ شيء آخر، وكانت كارولين ترجو أنها قد استطاعت توفير ذلك لها. الحب والرعاية والضحك والتفهم قد ملأ جو الشقة الصغيرة. وكانت هي وجدها قد كرّسا نفسيهما لديانا. وبدونها ستفرغ حياتهما من أية ثمار. واغمضت عينيها وقد أثار رعبها فكرة فقدانها. انهم الآن أسرة واحدة، اما ادوارد فقد كان غريباً عنهم، مهما كانت درجة قرابته لديانا.

وإذا هو فكر في المطالبة بحقوقه، أو حتى بالوصاية عليها، فهذا سيكون شيئاً لا يطاق، فالأيام ستكون شديدة الوحشة. فقد تعودتا على أن تغسل الواحدة منهما شعر الأخرى، والجلوس معاً على الأريكة تتفرجان على برامج التلفزيون، وعلى قيامهما معاً بتجربة وصفة لطبخ نوع جديد من الطعام.

ما الذي يعرفه ادوارد عن تلك الأشياء البسيطة التافهة

www.elromancia.com

التي تمنح ديانا شعورها بالكبرياء والثقة بالنفس مثل خياطة منزر، أو صناعة قبعة، أو حفظ قطعة شعر... انها تعرف جيداً أبعاد ذلك كله، بخلاف ادوارد، وستتأذى ديانا كثيراً من عدم اطرائه لها، ومن سلخها عن هؤلاء الذين تألفهم ويحبونها وعما يوفر لها الأمان.

وفكرت كارولين في والديها اللذين كرّسا حياتهما لمهنة التدريس في جيانريكو ومقدار شوقها إلى أمها. وها أن ديانا قد ملأت هذا الفراغ والحاجة إلى امرأة أخرى في المنزل تملأ قلبها، وتفرغ عليها ما تمتلىء به مشاعرها من طاقة للمحبة، ولكنها قد نسيت، بكل غباء، حقوق ادوارد، وعندما كرست نفسها كلياً للعناية بديانا، لم يخطر ببالها قط أنه سيعود إلى مدينة اورنتي.

واستقرت عليه عيناها القلقتان. انه كذاب دوماً، وربما كان تهديده بأنه ينوي الإقامة في المدينة هو من باب الإغاظة ليس إلا. ان عليها، لأجل ديانا ولأجل هدوء نفسها هي، عليها أن تجعله يغادر هذه المدينة قبل ان يتحدث إلى أي انسان.

واندفعت إلى العمل، فأخذت تركض، متعثرة في البداية إذ يبدو أن ساقيها قد فقدتا قوتهما، إلى ان وصلت إليه في النهاية، فهتفت والثورة والذعر يعصفان بها: «ادوارد، انك تخدعني، أليس كذلك؟ انك سترحل...»

ألقى نظرة سريعة عليها وقال: «كلا، انني لست راحلاً.»

سألته: «ولكن لماذا، من بين كل الأمكنة في العالم، لم يعجبك سوى هذا المكان؟»

أجاب بهدوء: «جئت لأجل أمر واحد. انني أريد أن أقنع

الناس هنا بتغيير فكرتهم عني، تلك الفكرة التي ألصقتها انت وصديقتك العزيزة جوليا بي.»

قالت: «جوليا؟» وشعرت بالارتياح لأن جوليا الآن هي في مكان آمن في فلوريدا. ولكنها صديقتها سابقاً. فازدواج علاقة ادوارد بهما هما الاثنتين، والمحاكمة، قد قتلتا صداقة العمر تلك. وسألته بقلق: «وما هي خطتك للوصول إلى ذلك؟»

أجاب: «إن لديّ خطة وضعتها بكل عناية. فالوقت في السجن كان طويلاً ثقيلاً، وعلى المرء ان يقوم بشيء للتسلية.»

قالت: «ولكن هذا غير معقول. فليس بإمكانك ان تعود للسكن هنا. انك تتصرف بشكل... خيالي.»

قال ساخراً: «حسناً، هذه هي تخيلاتي وأنا أحققها.»

قالت غاضبة: «أليس لديك أي اهتمام بما قد اشعر به أنا، أو جدي، وأنا أراك تسير في الشوارع؟»

قال بهدوء: «ان وصول المرء إلى ما يريد، يستلزم شيئاً من الألم.»

فهبطت كتفاها وبدت عليها التعاسة. ورجعت إلى الخلف خطوة أو اثنتين، إذا كان ما يعنيه هو أنه سيسبب لها الألم، فقد سبق ونجح في ذلك، فإن جدها سيتألم حين يرى ادوارد، الرجل الذي قتل حفيدته الكبرى وطفلها، يسير في أنحاء مدينة اورنتي دون ان يظهر أي ندم أو مراعاة لأحاسيسهما، ومن ثم تقع ديانا في دوامة هائلة...

وإذ رأته يعود فيشرع في السير، اسرعت تقول: «ان بقاءك هنا سيسيء إلينا وكذلك إلى والدّي جوليا وإلى كل

من رآك تلك الليلة، وكل من كان يعرف فيرا ويحبها.»

قال: «هذا ممكن.»

فبدا عليها الغضب لعدم مراعاته لمشاعر الآخرين، وقالت: «أليس لديك من الذوق واللياقة ما يدفعك إلى البقاء بعيداً؟ ألم تتعلم شيئاً مما حدث؟»

أجاب: «نعم، لقد تعلمت ألاّ أثق بالنساء أبداً.» وبدت عيناه السوداوان الجميلتان مليئتين بالسخرية وهو يتابع قائلاً: «إذا كنت تريدين أن تعلمي ماذا تعلمت أيضاً في السجن، فسيأخذ هذا منا ساعات عديدة.»

همست بانكسار: «أواه، يا ادوارد.» لقد كانت في اعماقها على استعداد للقيام بأي شيء لكي تبقيه قريباً منها، هذا لو كان قد تغير فأصبح نادماً، مختلفاً، وأقل حقداً... ولكان يسرها جداً أن تراه مع ديانا، ولكانت مهدت لهما للتعايش معاً. ولكانت الجروح شفيت. ولكنه، للأسف لم يبد لها ملائماً ليكون حارساً لعزيزتها الغالية ديانا.

قالت: «لو أنك عدت فقط لكي تعتذر، يا ادوارد...» وترددت، ربما كان هنالك أمل. وعادت تتابع: «ان بإمكانك ذلك، وهذا يغير الأمور تماماً.»

أجاب بفتور: «ليس هناك ما يدعوني إلى الاعتذار. وإذا بقيت تركضين بجانبي بهذا الشكل، فسيظن الناس أنك تلاحقينني. ما أغرب ما يأخذ الناس فكرة مغلوطة من أية حادثة قد يرونها، أليس كذلك؟»

احمر وجهها لهذا التعريض. ونظرت أمامها إلى حيث كانا يسيران، لترى مجموعة الطلاب مازالوا يتسكعون حول السيارة، وقالت بإصرار: «ولكنني رأيتك في مقعد القيادة

في ليلة الحادث تلك، مع جوليا. كل ما أريده الآن هو أن أراك راحلاً من هذه المدينة قبل أن تؤذي الناس الذين احبهم مرة أخرى.»

قال: «أريحي نفسك يا كارولين، فليس بإمكانك اقناعي بالعدول عما أنويه.»

سكت فجأة، وأخذت عيناه تحومان فوقها، فأخذت تبادله النظرات. ودار رأسها وهي تفكر كم هو رائع، لقد كان رائعاً بقدر ما كان شريراً. ولم تلبث أن انتبهت إلى نفسها وهي تتمنى لو لم تكن تلبس ملابسها البسيطة الخشنة هذه و...

قال فجأة متأملاً: «هل كنت حقاً بهذا الجمال من قبل؟» ولا بد أن الدهشة والسرور ظهرا في نظراتها، لأنه قال باسماً: «جذابة، فاتنة، غامضة.»

فلم تتمالك من أن تسأله: «غا... غامضة؟»

قال: «انما هنالك فعل الزمن.»

سألت: «الزمن؟» وغضبت من نفسها لوقوعها في هذا الشرك، إذ يثير اهتمام المرأة أولاً... وعادت تقول: «اسمع...»

قال بلطف: «انه يستغفلنا جميعاً. لأنني لا اتذكر أن عينيك كانتا عميقتي الزرقة بهذا القدر. أقسم بأنهما كانتا بمثل صفاء البحيرة تقريباً. انك تعرفين كيف تتألق مياه البحيرة ما يجذبك إلى الغوص فيها.» وابتسم لها، فحاولت أن ترد بجواب مناسب في حدته، ولكنها ترددت وهي تتساءل عما يقصد. ونسيت ما كانت تفكر فيه من اقناعه بالعودة إلى سيارته، بينما كانت تنتظر وهي ترى عينيه تحومان فوق وجهها وهو يقول: «مازلت أنكر رقتك ونعومتك. اتعلمين

بماذا كانت تذكرني دوماً؟» ولما هزت رأسها، بصمت، عاد يقول: «بنعومة أوراق الزهرة.»

وإذ انتبهت إلى أنها كانت على شفا الإنجراف في اطراءه هذا، ارغمت نفسها على أن تتذكر أنها ما كان لها أن تسمح له، هو خاصة، باسداء أي إطراء لها وهو المدان بالقتل، والمحكوم سابقاً. والحبيب سابقاً. سابقاً... سابقاً... وكانت بهذا تحدث نفسها بعنف وثورة.

قالت: «لقد قلت ان وجودك في هذا المكان هو غير مناسب.»

لوى شفتيه قائلاً: «انك مخطئة، فأنا باق هنا. ان لي من خبرتي الماضية بالحياة ما لم اعد أخاف معه من سكان المدن.» وابتسم بغموض متابعاً: «كما أن لديّ خطة تحميني من انتقادهم وتقولاتهم. صبراً، فستعلمين كل شيء في الوقت المناسب.»

وسار قاصداً إلى منزلها فوق الكاراج، تاركاً إياها وقد فتحت فمها ذعراً. وقبل ان تدرك ما يفعل، كان قد ضغط بإصبعه على زر الجرس ووقف ينتظر.

فاندفعت كارولين نحوه بسرعة ووقفت بجانبه تقول: «ما الذي تفعله؟»

أجاب: «انتظر.»

أغمضت عينيها شاعرة بالسعادة لكون جدها وديانا بعيدين عن هذا المكان، ما انقذها من موقف بشع. وقالت: «لا يوجد أحد هنا.»

قال: «سأبقى قريباً من البيت.»

تمالكت اعصابها وهي تتساءل عما ينوي القيام به، لا بد

أنه ينتظر اصلاح سيارته لكي يقوم بتحقيق أمر ما، يجول في ذهنه. ولكنها عادت فتذكرت أنه هو نفسه كان ميكانيكياً.

قالت بمرح: «إذا لم يكن بإمكانك اصلاح سيارتك بنفسك، وكذلك انتظار قدوم عمال كاراجنا، يمكنك ان تتصل بكاراج في إلبوماتش. هناك هاتف قريب من هنا.»

ابتسم بفتور وقال: «ليس ثمة عطل في سيارتي، فقد كنت توقفت بالقرب من هذا الكاراج لغرض في نفسي.»

تمتمت ذاهلة: «آه...» وتذكرت بركة الزيت والعربة، وبذلته التي بقيت نظيفة وسألته: «أي غرض؟»

أجاب: «لقد جعلت من السيارة ومن نفسي طعماً لجذب الانظار.» وعاد يدق الجرس بفروغ صبر.

حملقت فيه وهي تقول: «لكي تخرجني من البيت؟»

قال: «أبداً. فقد كنت أعلم ردة فعلك تجاهي عندما تريني. ولكنني كنت آمل أن يخرج جدك.»

قالت: «انه ليس هنا، والكاراج مقفل إلى أن يحضر العمال. هل فرغ الغاز من السيارة؟»

أجاب بجفاء: «كلا، صبراً. أين جدك؟ إنه دوماً يبدأ العمل في السابعة.»

أجابت: «ليس هذه الأيام. لقد قارب الثمانين.»

قال: «فهمت. ظننته ربما يتناول طعام الافطار الآن، وهذا هو السبب في أنني دخلت تحت السيارة انتظره أن يخرج ويسألني عن نوع العطل في سيارتي.» وابتسم ساهماً وكأنما يتذكر أوقاتاً سعيدة مضت، وتابع قائلاً: «كان بامكاننا، أنا وهو، أن نشم رائحة السيارات الكلاسيكية

على بعد مئات الخطوات. وكنت متأكداً من أنه سينطلق خارجاً نحوي على الفور.»

سألته مقطبة جبينها: «وما الحاجة إلى مغامرة قد تمزق بذلتك.»

حدق فيها لحظة، ثم أجاب: «كان الهدف يتطلب شيئاً من التحايل، ومن الانتظار، ومن التراب.»

قالت ببرود: «لقد سبق واخبرتك أنه ليس هنا.» فرفع نظراته إلى أعلى يتفحص النوافذ، ثم قطب جبينه وهو يرى نافذة عليها حاجز. وأمسكت كارولين انفاسها بينما عاد هو يقول: «انني لا اصدقك، دعيني أدخل يا كارولين.»

فأجابت ببرود: «ولا في حياتك كلها.»

فاستند إلى حاجز المدخل، أنيقاً، هادئاً، حقوداً. وأدركت أنه لن يتخلى عن العمل في سبيل الوصول إلى هدفه. كان عاقداً ذراعيه فوق صدره بينما استندت هي إلى الحاجز المقابل.

سألها: «هل تشعرين بالعصبية بسبب شيء ما؟»

أجابت: «ذلك فقط بسبب الركض بجانبك، ان خطواتك واسعة.»

قال: «ذلك لأن لديّ قائمة طويلة بما ينبغي عليّ القيام به.»

سألته بعصبية: «ما الذي تعنيه بذلك؟»

التمعت عيناه السوداوان وهو يقول: «لقد جئت لاتحدث مع جدك. وبما أنه غير موجود، يبدو أن عليّ ان اقوم بذلك معك بدلاً منه، وإلا ألقيت بأسئلتي على من أجد في المدينة.»

سألته: «أية اسئلة؟»

أجاب: «أيّ شيء يعطيني معلومات عنك، مادمت

مستشارة اجتماعية في مدرسة، أظن طلابك يعلمون عنك بعض الأشياء التي يقبلون بالحديث عنها.»

قالت بسرعة: «لا تشركهم في الأمر.»

قال: «لن افعل إذا سمحت لي بالدخول.»

سكتت، وشعرت بالنبض في صدغيها يرتفع، فوضعت اصابعها عليه لكي ترتاح وتستطيع التفكير بوضوح. لم تعد تستطيع احتمال شكوكها، فقد كان أمامها احتمالات ثلاثة، اما أنه يعلم بشأن ديانا، وإما أنه يرتاب بشيء، أو أنه لا يعلم شيئاً على الاطلاق. ولكن اذا هي دعته لدخول المنزل، لكي تتحدث إليه بالمنطق، فهو سيرى ما يكفي من الشواهد التي تجعله يتخلى عن لعبته بعد دقائق.

قالت له بحزم: «ليس بامكانك الصعود، فالناس سيتكلمون.»

هزّ كتفيه، ثم استدار متوجهاً نحو سيارته، فانتظرت كارولين ممسكة بأنفاسها، لقد كان الأمر خدعة. وهو الآن سيستقل سيارته ويرحل...

ولكنه ابتدأ يتحدث إلى ليندا، وغضبت وهي تراهما يضحكان معاً، ورأسه ذو الشعر الأشقر ينحني فوق رأسها. واجفلت كارولين وهي ترى نظرات الاعجاب التي كانت ليندا ترمقه بها، فإذا لم تتصرف بسرعة، فسيستغني عن تمهيداتها ويبدأ بتوجيه اسئلة مباشرة تورطها. وهكذا تقدمت بسرعة إلى حيث كان ادوارد يعقد جلسة.

كان يقول: «آه، نعم، انني اعرفها منذ سنوات.» فأخذ الطلبة يحدقون في كارولين وهي تتقدم نحوهم.

ابتسم لها وهو يتابع قائلاً: «لقد كنا نتحدث عن الأيام

القديمة. تلك الأشياء التي تعرفينها، المدرسة الثانوية، الحفلات الراقصة المنزلية، الافلام القديمة.»

نظرت إليه كارولين وقالت ساخرة: «لقد حان وقت عودتك إلى البيت يا ادوارد.»

ولكنه استمر يقول للمستمعين متجاهلاً إياها: «وذات مرة، سكبت كارولين نصف صفيحة من الآيس كريم الذائب...»

قاطعته بحدة: «أرجوك.»

ولكنه تابع قائلاً: «أفرغته في خزان غاز تابع لموظف المدرسة الذي كان متحكماً سيء الطباع.»

فاستدارت أربعة ازواج من الأعين الذاهلة نحو وجه كارولين المتوهج، التي تمتمت تقول: «انك توحي إليهم بذلك أفكاراً غير مستحبة، يا ادوارد.»

قال مظهراً القلق: «أحقاً؟ هل لنا إذن بأن نتابع حديثنا هذا داخل المنزل؟ انني مستعد لذلك.»

قالت: «ولكنني ذاهبة إلى الشاطىء بعد فترة.» وابتسمت للطلاب قائلة: «الستم ذاهبين إلى الشاطىء انتم أيضاً؟»

ولكن ادوارد ابتسم لهم قائلاً: «أو يمكنكم أن تجلسوا في السيارة لحظة، فتجربوها. خذوا حريتكم.»

فوافق الجميع متحمسين. وهكذا فتح أبواب السيارة الرولز رويس. ونظرت هي إلى الوجوه المتحمسة، بينما كانت تسمعه يجيب على اسئلتهم، ولم تملك إلا أن تعجب بالطريقة التي استطاع أن يجتذب بها اهتمامهم. لقد قام بشيء لأجلهم، فاصبح الآن

عليهم أن يردوا له الجميل... مثل الإجابة على اسئلته...

وتقابلت عيناها بعينيه اللتين بدت فيهما نظرة فوز. وشعرت هي بأنها وقعت في الشرك. فهي لا تستطيع الهرب. إذ يبدو انها مهما فعلت، فانه سيعلم أنها اخفت عنه سراً طوال تلك السنوات. سرّ هو من الأهمية بحيث له الحق في أن تطلعه عليه.

قال لكارولين بلهجة دافئة: «لن أتأخر يا عزيزتي.» وعندما شهقت، عاد يقول بابتسامة بريئة: «لا اظنهم كانوا يعلمون أننا كنا يوماً، حبيبين...»

قاطعته بلهفة: «كفى، يا ادوارد.»

فضحك بخبث قائلاً: «آه، ما كان ينبغي لي أن اغيظ فتاتي المفضلة. أليس كذلك؟» وألقى عليها نظرة حبيب قد التقى حبيبته بعد أن فرقهما الزمن.

فتمنت كارولين لو تضربه. فتاته المفضلة؟ ورأته ينظر إليها وقد بان الهزل في عينيه للحرج الذي وضعها فيه... وثار غضبها لذلك. ما كان ليجلب سوء السمعة إليها لو أنها التقته في مكان خاص.

قالت مصطنعة المرح: «نعم، حذار من ذلك إذا كنت تريد ان تصل إلى الثلاثين من عمرك.» لم تكن تعرف كيف تتخلص منه، ولكن بإمكانها على الأقل، أن تتخلص أثناء محاولتها هذه، من هؤلاء المستمعين حولهما. وهكذا تغلبت على خوفها وكبريائها، ونظرت إليه بابتسامة صداقة عريضة ثم قالت موجهة الحديث إلى الطلاب: «ربما تقابلنا على الشاطىء، أيها الفتيان. وإذا رأيتموني أحمل معي آيس

كريم فذلك لأنني اريد ان انتقم من شخص متحكم...»

قاطعها بضحكة خافتة: «آمل ألاّ تفكري في افراغه فوق رأسي.»

قالت بعذوبة: «كلا، بل فوق بذلتك الأنيقة هذه.»

قال وهو ينظر في عينيها بحب: «انك تعلمين أنني ساجعلك تلحسينها بلسانك، ايتها الوقحة.»

تصاعدت الشهقات حولهما. واحمر وجه كارولين ارتباكاً، ورأت من التعبير الذي ارتسم على وجوه الطلبة، ان عليها أن تقول شيئاً وإلا خسرت مصداقيتها كمساندة للتعاليم الأخلاقية، وهكذا اجابته بلهجة ودود: «انك معتوه، لا تهتموا له، فهو كثير المزاح. هيا بنا.» ونظرت عابسة إلى ادوارد الذي كان ينظر اليها هازلاً وهي تتابع قائلة: «هيا، اخبر خالتك كارولين ما الذي فعلته منذ رحيلك، وما هو شكل زوجتك الجميلة وكذلك اولادك... هل هم ثمانية؟ إنه يحب الأطفال. إلى اللقاء يا اصدقائي. استمتعوا بوقتكم.»

وبابتسامة ذات معنى جعلتها تود لو تصرخ، ابتعد الفتيان بينما جذبت كارولين نفساً عميقاً. ولكن شعورها بالارتياح سرعان ماتلاشى حين وجدت نفسها منقادة، بالرغم عنها، نحو باب شقتها مع ادوارد. وابتدأت تقول: «إنه دورك الآن.» ولكنها صرخت به محذرة، وما لبث ان تمتم بشيء، ثم ضحك وهو يلوّح لها بمفاتيحها التي نشلها من جيبها دون شعور منها.

فصرخت غاضبة. انه دوماً كان يحتال عليها بهذا الشكل، ودوماً كانت هي تقع في الشرك. ومدّت يدها بسرعة تريد اختطاف المفاتيح من يده، ولكنه رفعها عالياً وفي عينيه

نظرة فوز. حسناً، ربما كان طويل القامة ولكن بإمكانها أن تقفز. وقفزت في الهواء.

نظر خلفه ليرى هو أيضاً ليندا وقد عادت، وكانت تأخذ شيئاً كانت قد نسيته بجانب السيارة، وبابتسامة قاسية عاد فاستدار إليها وهو يرفس بحركة بدت عفوية، قارورة غاز كانت أمام الباب.

سمعت صوت المفتاح يتحرك في القفل، وقبل أن تحتج، كان قد دفعها إلى الداخل، ثم صفق الباب خلفهما.

وتمتم: «هذا حسن.» بينما نظرت هي إليه باشمئزاز قائلة: «أخرج.»

أجاب: «طبعاً سأخرج، إنما حين أشاء.»

اتسعت عيناها بحذر. كانت وحدها مع شاب لا يتمكن من السيطرة على نفسه. فهمست وهي ترتجف: «ادوارد، لا... لا ينبغي لك...»

قال: «إنني سأفعل ما أريد.»

اخذت تبتلع ريقها. لا تريد أن تسمح لنفسها بأن تتأثر به، وأخذت تردد في ذهنها بسرعة (إن أختي متوفية، وطفلها ميت. وادوارد هو الذي قتلهما) ولكن هذه الطريقة لقتل شعورها الحالي لم تنفع كثيراً، وشعرت لذلك بالخزي.

وابتسم هو ساخراً وكأنه كان يقرأ افكارها وقال متعجباً: «إذن، فما زالت تلك المشاعر لديك؟ ومازالت النظرة الواحدة تؤثر فيك؟»

صرخت بوجهه: «هذه اهانة، ان قربي منك يثير في نفسي الغثيان.»

قال: «اصحيح هذا؟»

سرى الألم في كيانها، الألم لاحساسها بالتعاسة، والفراغ، والحلم الضائع. وألجم لسانها شعورها بالصدمة وهي ترى نفسها ضعيفة لا شعورياً. وجاهدت لكي تتمكن من قول ما ينبغي عليها قوله: «أنا واثقة من ذلك.»

قال ببطء ساخراً: «لا اظنك واثقة مما تقولين، إن عينيك تفضحانك.»

فقالت وهي تحاول تضييقهما: «كلا.»

ضحك، وتألقت اسنانه البيضاء في وجهه الأسمر الوسيم. فدار رأسها كما اعتاد في تلك الأيام الخوالي، يوم أحبت، دون خجل، حبيب أعز صديقة لديها. ذلك أن ادوارد كان، باستثناء بول بريل الذي كان المنافس الوحيد له في كل ما يتعلق بأمور الحياة، كان ادوارد اكثر الفتيان جاذبية للفتيات في المدرسة.

قال لها: «انك تخادعين نفسك، فقد كنت متهالكة عليّ.»

قالت: «حسناً، كنت أنا كذلك، ولكنك أنت كنت غادراً، استغفلتنا جميعاً.»

قال: «ألم اعد كذلك؟»

تراجعت شاعرة بالخوف إزاء نظراته التي كانت تحوم حولها.

الفصل الثالث

كانت غريزتها تدفعها إلى حماية ديانا العاجزة من ادوارد، وأن تبقيه، في نفس الوقت، بعيداً عنها هي. أترى الأمور تشابكت في ذهنها؟

قال فجأة: «والآن، يا كارولين، هل ستخبرينني بمكان أمي؟»

جمدت في مكانها وهي تردد بغباء: «أمك؟»

قال: «لقد ذهبت إلى بيتها، فلم أجدها.»

قالت: «لقد رحلت.»

قال ساخراً: «هذا ما فهمته من تلك السيدة التي تسكن فيه. لقد رحلت أمي منذ سنوات، كانت معرفتي بهذا شيئاً جميلاً.»

نظرت في عينيه الكئيبتين، وغمرها شعور بالحزن البالغ لفقده صلته بأمه، وبحزن اكثر لما تسبب في ذلك. وقالت بهدوء: «ولكنك كنت تعلم أنها تبرأت منك.»

فبدت في العينين الخامدتين لمعة خاطفة، ثم قال بصوت أجش: «نعم، وعلى كل حال، فقد توقعت أن يعلمني أحد بعنوانها. فتلك المرأة لا تعرفه، ولكن لا بد أن يعرفه جدك، فقد كان وأبي صديقين حميمين. وذلك هو السبب في مجيئي إليه. وما دام هو غير موجود، فعليك أنت أن تخبريني به، أو تجديه لي بأسرع وقت.»

وتألقت عيناه بنظرة أخافتها. كان له الطبع البولندي

الحاد الذي ورثه عن والده، وحس العدالة الصقلي الذي ورثه عن أمه. وهذا يعني، كما أخذت تفكر، المتاعب. فهي تعرف طبع ادوارد العنيف.

لقد ثار على جوليا حين رفضت أن تتوسط له لدى والدها لكي يمول دراسته في جامعة هلبرت. وأثناء ثورته العمياء تلك، انحرف خطأ بسيارته فاصطدم بسيارة فيرا شقيقتها. لقد اقسم أن جوليا هي التي كانت تقود السيارة رغم أنه كان هناك شهود عديدون يكذبونه في ذلك. وكانت هي واحدة منهم. ولقد روعهم غضبه جميعاً.

ارتجفت كارولين وعيناها في عينيه. يبدو أن الزمن لم يقلل من شعوره بالخيانة، بل عمقته. وازدردت ريقها محاولة التخلص من الغصة في حلقها.

واستجمعت شجاعتها ثم قالت: «إنني أرفض التهديد. هل محاولتك العثور على أمك هو سبب كل هذا؟»

أجاب بصوت أجش حافل بالمشاعر ما جعل عينيها تمتلآن بدموع الحزن، أجاب قائلاً: «وماذا غير ذلك يجعلني أحضر من البندقية؟»

البندقية؟ لا بد أنه ذهب إلى هناك بعد خروجه من السجن، عائداً إلى أسرة أمه ومسقط رأسه، وذلك لكي يلعق جراحه. قالت له آملة أن يعود من حيث أتى: «إني آسفة. لقد كانت رحلتك فاشلة. لقد علمت أنها رحلت عن المدينة.»

سألها بلهفة: «إلى اين؟»

أجابت بلهجة متمردة وهي تكتم أساها: «وما الذي يجعلني أعلم مكانها؟»

قال وقد بدت على وجهه خيبة الأمل: «نعم، هذا صحيح.»

تمتمت بعطف: «ادوارد.»

توجه نحو الباب الخارجي يفتحه وهو يقول مترددا: «لقد كنت ذاهبة الى المقهى.» فأومأت برأسها وقد أعمت الدموع عينيها، ثم خرجت الى حيث أشعة الشمس. وتوجه ادوارد نحو سيارته، ومع كل خطوة له كانت هي تشعر بقلبها يتمزق الى أن شعرت بأنه لم يبق منه شيء حتى ولا خفقانه... لم يبق سوى هدوء الكارثة المتخلفة عن العاصفة.

ها قد نجحت في مسعاها. إنه راحل...آه. وتأوهت. إنها بحاجة الى الإنفراد بنفسها، إلى السير... إلى أي تمرين جسدي قد يصرف أفكارها عن ادوارد وعن تلك الأيام المظلمة التي عادت لتبلبل أفكارها.

وركضت نحو المقهى دون أن تفكر في شيء آخر، ولكنها وهي تقف أمام منضدة تقديم الطلبات حيث القت نظرة على قائمة الطعام، شعرت بأنها لا تريد أن تأكل شيئاً.

وجاءها صوت يسألها: «كارولين، كارولين، هل أنت بخير؟»

أجابت بسرعة: «آه، نعم، كنت أحلم.» وكان المتكلم هيلين بروس التي كانت ترمقها بنظرات متفحصة، وتابعت هي تقول: «بل هي كوابيس، إن أعباء العمل مخيفة.»

قالت هيلين: «إنك ترهقين نفسك بالعمل، خذي عطلة هذا النهار... يبدو أن الجو سيكون شديد الحرارة. أن ألفريد كالمجنون هذا النهار وهو يستعد لحفلة زفافه اليوم.» وابتسمت كعادتها كلما تحدثت عن إبنها، فبادلتها كارولين الابتسام وهي تقول: «ظننته سيكون مشغولاً مع متعهدي

الأطعمة. لقد ترك جدي قائمة طويلة لعمالنا، ما جعلهم يصقلون سيارة الليموزين حتى النهاية.»

أشرق وجه هيلين بالابتسام وهي تقول: «إننا جميعاً راضون عن العمل، ماذا تطلبين؟ شطائر التونة أو...»

قاطعتها: «نعم، شطائر التونة ومعها فطائر الأناناس. وسأنتقي بعض الفاكهة.» وكانت كارولين تتظاهر، وهي تتكلم، بالبشاشة والمرح.

ولكنها عندما أصبحت خارج غرفة الأطعمة، عادت دموعها تنهمر، فأخذت تمسح عينيها بضيق بعد أن سمعت الباب يفتح خلفها ويخرج منه شخص ما.

وجاءها صوت هيلين الرقيق يسألها: «ما الذي جرى يا كارولين؟ هل ديانا بخير؟ هل هي تتعبك كثيراً؟ كيف الحال بالنسبة إلى عملك وغيره؟»

أجابت: «لا شيء. بامكاني أن أتدبر أموري معها. إنك تعلمين كم أحبها.»

قالت هيلين: «إن الأمر ليس سهلاً، أظن ليس بامكانك مادياً استقدام من يساعدك.»

أجابت كارولين بكآبة: «كلا، حتى أليكسا، الممرضة المتقاعدة، ستتركنا قريباً. ولكننا سنتدبر الأمر.»

كانت تتكلم بتفاؤل وهي تفكر في البهجة التي ملأت بها ديانا جو البيت. وتابعت تقول: «بامكاني دوماً أن أتخذ عملاً في الصيف.»

قالت هيلين وهي تحتضن كتفيها بعطف: «إنك طيبة جداً.»

ابتسمت كارولين من خلال دموعها وهي تجيب: «إن

الطيبين لا يحزنون على أنفسهم، فهم ينشرون المحبة والفرح.» ورفعت رأسها، إنها بحاجة إلى المحبة والفرح. تريد وقتاً للانفراد بنفسها، وقتاً تفكر فيه لكي تعود إلى حالتها الطبيعية مرة أخرى. إن ديانا بأمان خارج المدينة، كما أن ادوارد قد رحل. على كل حال، فاذا هي لم تجد مجالاً ترتاح فيه فستجن. وقالت: «إنني ذاهبة إلى الشاطىء حيث أتمدد تحت أشعة الشمس ولا أفعل شيئاً سوى التنفس والمشي.» كانت تقول ذلك بحزم وهي تمسح دموعها.

قالت هيلين ضاحكة: «إذهبي ومتعي نفسك.»

لقد كان هذا ما صممت عليه. وكان يفصل مدينتها اورنتي عن البحر، نهر لواسكس ورافد متعرج. وكان صيادو السمك ينجرفون بقواربهم مع التيار، وكان المكان مناسباً لانفراد الناس بأنفسهم، حيث يستلقون في القوارب كسالى تحت أشعة الشمس، بينما يحلمون. وعادت إلى شقتها وقد غمرتها الكآبة، حيث أخذت تجهز ما يلزمها لقضاء النهار خارجاً، ثم خرجت بسيارتها من المدينة. وابتدأت البيوت تتفرق تاركة مجالاً للتلال المكسوة بالثلج. وعندما أخذت تعب في رئتيها الهواء النقي، ابتدأت أعصابها تهدأ.

كانت غالباً ما تتردد على هذه البراري الطبيعية، فتحل مشاكلها وتسترد نشاطها، أحياناً مع ديانا وأحياناً وحدها. فكان يعود إليها التفاؤل والاشراق لمجرد مراقبتها للطيور.

كان هواء البحر يتلاعب بشعرها، بينما تستنشق هواء

المستنقعات المالح. كان الشفق عند المغيب من الروعة بحيث كانت تعود دوماً إلى البيت وقد تجدد نشاطها وارتاحت اعصابها. ابتسمت برقة وهي تتصور كل ذلك. ونظرت في المرآة أمامها وهي تستدير بسيارتها إلى الطريق بين المنازل.

وتأوهت: «آه، كلا.»

ذلك أن سيارة ادوارد الخضراء، كانت خلفها، وهي تعلم أنه لا يوجد في كل ولاية يافوتوينس سيارة مثلها، وليس فقط في مدينة اورنتي.

وضغطت على دواسة البنزين بوحشية، مسرعة قدر استطاعتها، نحو موقف السيارات عند الشاطىء، ووقف ادوارد بجانبها وقد بدا، وهو يترجل من السيارة، كنجم سينمائي ما جعل الأنظار كلها تنصب عليه.

قالت بعنف وهي تختطف حقيبتها من السيارة وتضعها في كتفها: «إن هذا زائد عن الحد.»

ودون أن تنتظر تعليقاً منه، ركضت نحو السلم الخشبي الذي يكوّن جسراً فوق الرمال، وهي تحس بضيق بالغ. إنه لن يستسلم، وسيظل يوجه الأسئلة إلى أن تفلت منها كلمة أو جملة يعلم منها بأمر ديانا.

وألقت بنظرة إلى خلفها، لم يكن مسرعاً، بل كان فقط يطوي الأرض طياً بخطواته الواسعة. وكان النسيم يعبث بشعره الأشقر فوق جبهته، بينما كانت عيناه تبدوان أخاذتين غامضتين خلف النظارات الشمسية.

ابتسمت لها كريستي، قائلة: «مرحباً يا آنسة بلايد. إنه يوم رائع.»

أجابت وهي تلهث نتيجة اندفاعها من السيارة: «إنه رائع تماماً، انظري إلي وأنا أستمتع به.»

وكانت مقطبة الجبين قليلاً، ولكن كريستي كانت قد رأت ادوارد، فقد علمت كارولين هذا لدى رؤية عينيها المتسعتين عن اعجاب واضح.

لقد أثار حنقها لحاق ادوارد بها، أي فائدة يتوقعها منها؟ لقد سبق وأخبرته أن أمه قد رحلت. إن تسكعه خارج الكاراج لن ينفعه بشيء، رغم أنه سيسيء إليها كثيراً، وكذلك إلى ديانا.

إنها مقابلة أخرى بينما المفروض أن هذا يوم راحتها والمفروض أن تنفرد فيه بنفسها. إنه يوم من الأيام القليلة في حياتها التي تشعر فيه بالتحرر من مسؤولية أي شخص آخر.

وها هوذا الآن يأتي لافساده عليها.

تاهت بها الذكريات. لقد كانت تأتي معه إلى هذا المكان في الأيام الخوالي، أيام حبهما... هذا الحب الذي لم يدم سوى شهور قليلة. ندمت على علاقتها به، في ما بعد، من كل قلبها.

وغمر نفسها الألم، وتمنت لو لم تقع قط في غرام حبيب اعز صديقاتها، تمنت لو أنها لم تمض معه تلك المدة الطويلة. تمنت لو لم تجعله يعلم كم كانت تحبه.

لقد كان يخرج معها وكذلك كان يخرج مع جوليا، أيضاً، كاذباً عليهما هما الاثنتين، ويقسم لكل منهما أن حبه لها حتى الموت. كانت جوليا صديقتها منذ زمن طويل، وقد أخذتها تحت جناحها... جوليا الغنية المتألقة ذات الجمال

الرائع الأخاذ، والتي كانت تعيش في قصر كولبن الواسع قرب المرفأ، والمليء بالخدم والذي يحيط به بستان فاكهة، ومنزل للقوارب، وحديقة تثير الحسد، إلى كاراج واسع.

ومن الغريب أن جوليا كانت تحب شقة كارولين الصغيرة، قائلة إنها دافئة ومريحة مليئة بالضحك بعكس القصر الكبير الفارغ. ولم تكن كارولين تفهم هذا، فقد كان قصر تمبلين أجمل بناء في مدينة اتيرنيتي اقامه ازاريا كولبن في القرن التاسع عشر، وكان سيسعدها جداً لو تمكنت من العيش في منزل قبطان بحار كان قد أنشأ ثروته في تجارة مع الصين. رغم شعورها بأنه كان منزلاً خالياً من الحب.

ويظهر أن جوليا قد وجدت كل الحب الذي كانت بحاجة إليه، في منزل اسرة كارولين. وكانت هي، من ناحيتها، بالغة الكرم، فمنحت كارولين ملابس جميلة، وعلمتها كيف تبرز جمالها. مقابل ذلك كانت كارولين تساعد جوليا في فروضها المنزلية، كما كان الوفاء يدفعها إلى صد الانتقادات والشائعات عن طبيعة جوليا الحاقدة المحبة للانتقام، وكذلك كانت تستمع إلى حكاياتها عن الفتيان الذين وقعوا في غرامها...

وخصوصاً ذلك الفتى الجذاب الذي قدم حديثاً إلى المدينة، ادوارد، والذي يظهر أنه لم يستطع إبعاد نفسه عن جوليا المتحفظة، الصعبة المنال. فكانت كارولين تستلقي على فراشها متسعة العينين وهي تستمع إلى جوليا تحدثها عن لقاءاتها، والعروض التي تتلقاها من الفتيان، وعلى الأخص حديثها عن ادوارد، وجرأته التي كانت تصفها

باشمئزاز. كما كانت تقول عنه أنه طماع ومتوحش، كما أنه خشن.

وهكذا استمرت كارولين تستمع إلى كل ما يتعلق بإدوارد المتلهف شوقاً، ولكي تخفي مشاعرها نحوه، لأنه كان يبدو مجنوناً بجوليا، والذي لم يكن ليهتم بالنظر إلى تلك الفتاة الايرلندية الأميركية ذات الطبع الناري، والتي لا تجري في عروقها قطرة من دماء النبلاء. لقد كان ماهراً طموحاً، وزواجه من فتاة ثرية ذات نفوذ سيساعده في الوصول إلى هدفه.

ولكنه عندما طلب من كارولين موعداً، وذلك بعد تلك العاصفة الثلجية، مخبراً إياها أنه قد فسخ علاقته مع جوليا، صدقت كذبته تلك بكل سرور. وهكذا تخلت عن سنوات من الصداقة مع جوليا، في سبيل ادوارد.

وكان لابد أن ينال جزاء كذبه وخيانته لجوليا. فقد ثارت عليه جوليا ما جعله يفقد اتزانه معها فيتجادلان. وعندما رأى انهيار خطته في ان يقنع والد جوليا في أن يكفل تعليمه الجامعي، جعله ذلك يفقد السيطرة على السيارة، لتكون النهاية الفاجعة.

كان هذا ما حدث، وكان على كارولين أن تتقبل فكرة أنها كانت مسؤولة جزئياً عن سلسلة الأحداث التي قادت إلى تلك النتيجة.

كان جدها يراها جوهرة صغيرة ذات صفات مميزة، وكان والداها فخورين بها. وكانت في مدرستها الثانوية يطلقون عليها لقب الآنسة الرائعة الصغيرة.

ولكنها خانت ثقة أعز صديقة لديها، كما تمزقت تلك

الصداقة الطويلة بشهادة جوليا وكذلك شهادة والديها اللذين كانا، في تلك اللحظة، يطلان من نافذة منزلهما، قصر كولبن على الحادث المفجع.

وعندما وقفت على قمة كثيب من الرمل، استدارت تلقي على ادوارد نظرة طويلة بطيئة من فوق كتفها، ثم حدثت نفسها قائلة إنها ستستمتع بهذا النهار. إنها عطلتها ولن تسمح لإدوارد بأن يفسده.

واندفعت تهبط الدرجات نحو الشاطىء الأبيض حيث خلعت حذاءها لتشعر بمتعة السير حافية على الرمال الساخنة. ثم وقفت مغمضة العينين بابتهاج رافعة وجهها نحو الشمس الدافئة.

«رائعة.»

فلم تلتفت لدى سماعها صوته، وإنما بقيت تحدق في البحر، متظاهرة بأنها لم تتأثر بكلمته الرقيقة تلك. ثم عادت تسير وكأن ليس له وجود، إلى أن وصلت إلى فسحة رملية صلبة.

اقترب منها وقال: «يبدو انك متعبة. أظن عملك يستنفد كثيراً من طاقتك.»

قالت تجيبه: «نعم. انه مرهق ولكنني أحبه. إن عملي هو حياتي.»

سألها: «أليس ثمة عمل أفضل؟»

أجابت: «إنه من نوع الأعمال الذي تمنحه كل قلبك. فهو ليس مجرد محاضرات وعناية، يا ادوارد. إنني أتعامل مع المشاعر كما أدرس المشكلات أيضاً. إن علي أن أتعرف إلى تلامذتي وأهتم بهم... ثم إنني أحميهم من المتاعب

والمتعبين. فلا تحول أذهانهم خارج عملهم.» وكان في لهجتها، وهي تقول ذلك، تحذير واضح.

قال موافقاً: «أظنني، لو حاولت ذلك، سألهيهم عن عملهم نوعاً ما.»

وكان يعني بذلك إلى أين يمكن أن تؤدي بهم أسئلته. فهو لم يكن مهتماً بعملها اطلاقاً. واستدارت إليه تواجهه قائلة بعنف: «دع عينيك الجوالتين تستقران على واحد منهم أكثر من ثانية، ثم أنظر ماذا سيحدث لك.»

قال متأملاً: «كم أحب شعرك خصلاً بهذا الشكل.»

قالت: «إن شعرك سيتمرغ بالتراب اذا لم تعدني بأن لا تمثل دور الحبيب الولهان مع النساء اللواتي هنا.»

قال ببراءة: «إنما كنت أفكر في تمثيل دور الحبيب الولهان مع امرأة معينة.»

سألته: «ومن هي؟»

ابتسم مجيباً: «أنت.» ورأت كارولين صورتها معكوسة على نظاراته الشمسية السوداء، متشابكة الشعر، متسعة العينين مزمومة الفم استياء، وتابع يقول: «إنني أريد، قبل كل شيء، أن أعود إلى العيش مع أمي. وعندي طريقة تجعلني واثقاً من أن ذلك سيحدث.»

ابتدأت تقول ساخطة: «آه، يا ادوارد...»

تمتم يقاطعها: «طريقة معينة، حيث أنك ستساعدينني. وذلك عندما تصبحين فتاة طيبة وتمدحينني حتى العظم. عند ذلك ستعود أمي لتعيش معي.»

قالت بضيق: «كلا، إنها لن تفعل. إنها... عليك أن تدرك يا ادوارد انها لا تريد رؤيتك.»

قال بثقة: «إنها ستغير رأيها.»

قالت متأوهة: «إن ذلك غير ممكن.» ولكنه تجاهل قولها وهو يجلس على الأرض بجانب حقيبتها، منحياً نظاراته الشمسية.

حولت نظراتها نحو البحر تحدق فيه متأملة.

كان الأولاد يضحكون ويعبثون على الشاطىء، وأزواج المحبين يتمشون غافلين عن كل ما حولهم.

كانت مشاهد البهجة في كل مكان. كان مفروضاً الآن أن تكون بين الأمواج تسبح بابتهاج، ولكنها بدلاً من ذلك، ترى نفسها في غاية الانفعال، بينما هو يمسك بحقيبتها التي تحوي مفاتيح سيارتها. كان عليها أن تعلقها حول عنقها.

قالت له ببرود: «بما أنك أمضيت وقتاً طيباً، فاذهب الآن.»

قال: «أتظنين أن رؤيتك فقط تكفيني؟ إنني أريد أكثر من هذا بكثير.»

قالت وهي تهم بالابتعاد: «إياك، إن تفكر بأي شيء لن أقبل به.»

قال بحزم: «إنك لن تهربي مني هذه المرة، وإذا أنت حاولت ذلك فسأعيد حياتك إلى البؤس الذي جئت منه.»

قالت له بحدة: «إنني لن أساعدك.»

قال: «بل ستفعلين ذلك عندما أنتهي منك.»

ونظرت إليه من فوق كتفها قائلة: «وما الذي يجعلك تظن ذلك؟»

فلاحت على شفتيه شبه ابتسامة وهو يجيبها قائلاً: «لأنني أشعر بحافز يدفعني إلى الحصول على ما أريد.

أنظري يا كارولين إلى تلك المرأة وطفلها هناك.» فنظرت كارولين بحيرة إلى المرأة التي كانت تنظر باسمة إلى طفلها الذي كان ينقل الرمل بدلوه لكي يتم بناء قصر من الرمال. وذاب قلبها وهي تسمع ضحكاتهما المزهوة بنجاحه. حتى التعبير الذي بدا على وجه ادوارد مس فؤادها وهي تراه وكأن حبه للأطفال قد أصابه الاحباط.

وسألته بعفوية: «ما معنى هذا؟»

أجاب: «هذا المنظر أراه حيثما ذهبت، الحب بين الأم وابنها، الحياة المشتركة بينهما. إنني أكن لأمي بالغ التقدير، فقد ضحت هي وأبي، بكل شيء في سبيلي. وقد منحتهما أنا بالمقابل كل ما أمكنني منحهما أياه.»

قالت بحيرة: «إنني أعلم ذلك.» قد يكون خائناً بالنسبة إلى النساء، ولكنه كان دوماً في خدمة والديه حتى في أوقات راحته، كانت العلاقة الوثيقة بين أفراد أسرته، والمحبة المتبادلة بينهم حتى أمام الناس، كل ذلك كان يمس المشاعر.

وعاد يقول ببساطة: «إنني أريد أن تعود أمي إلي. وأنا على استعداد لعمل أي شيء مقابل ذلك. أظن سيصعب عليها أن تشيح بوجهها عني عندما تراني. وهناك بيت ينتظرها يوشك أن يكون جاهزاً لتنتقل إليه.»

نظرت كارولين إليه بغباء، تنتقل إليه؟ ان لديه منزلاً لأجل أمه دون أن يخطر بباله أنه غير مرغوب فيه، وقالت بأسى: «كلا.»

قال بصوت خفيض: «يجب أن تفهمي ماذا يعني هذا بالنسبة إلي. لقد أردت العودة منذ وقت طويل، يا كارولين.

من الممكن أن تنسي بيتك فترة، ولكن الشوق إليه لا بد أن يغلبك في النهاية. لقد نشأت في سولارم ثم عدت إلى هناك لأعيش فيها بعد خروجي من السجن، ولكن بيتي هو في اورنتي لأن هناك ابتدأت حياتي الحقيقية.» وفاض صوته بالمشاعر وهو يتابع قائلاً: «وهذا هو السبب في أنني اتفقت مع أحد وكلائي بأن يشتري منزلاً لأجلي.»

تجاذبها، لحظة، عاملان كانا في نفس القوة. عامل الشوق الذي شدها إليه، وعامل الضمير الذي أبعدها عنه. وأخذت تحدق فيه بعينيها الزرقاوين الواسعتين بأهدابهما السوداء الكثيفة، لقد عاد الآن إلى شخصيته الأولى... إلى ادوارد القديم.

ولكنها قفزت مبتعدة عنه وهي تتذكر ما سبق وقاله، وسألته: «منزل؟ ولكن أمك لن تقبل أبداً بالسكن فيه معك؟ إنها لن تترك هذه المدينة، اورنتي، أبداً.»

قال وقد بدت السخرية في عينيه: «إنها إذن مازالت في اورنتي على الأقل. حسناً، ليس عليها بأن تغادرها. ذلك أن المنزل في اورنتي.»

فصعقت، ومضت فترة قبل أن تتمالك نفسها، وتقول: «ادوارد، أظننا سبق وتحدثنا عن هذا الأمر. ليس بامكانك العودة إلى هنا. إنك...»

قاطعها محذراً: «لا تنطقي بتلك الكلمة، إنك، في جزء من أعماقك كنت أقفلت عليه بالمفتاح ونسيته، في ذلك الجزء تعلمين أن هذا غير صحيح. إن لدي الكثير من الأخطاء، بعضها يشعرني بالخزي، والبعض الآخر كون شخصيتي الحاضرة. ولكنني لم أكذب قط، كما لم أتصرف قط نحو

امرأة بشكل مشين، مهما كان تصرفها رخيصاً، ومهما كان الدافع إلى ذلك.»

قالت وهي تتمنى لو أنه، على الأقل، يعترف بما اقترف، قالت: «إنك تكذب، لا يمكنك أن تنكر ما...»

قاطعها قائلاً بهدوء: «سأظل أنكره حتى يوم مماتي.»

صرخت فيه بحزن: «ولكنك كنت مذنباً تماماً.»

أخذ يرمقها بعينيه السوداوين بغضب، قائلاً: «هذا ليس صحيحاً، وأنا لا أسمح لك بأن تقولي ذلك مرة أخرى.»

كان يقول ذلك من بين أسنانه المطبقة، ورأت أنه مصر على السير في مشروعه الذي هو الاستقرار في هذه المدينة، اورنتي، مهما كان الألم الذي سيسببه ذلك لكل شخص.

وتأوهت كارولين بيأس وهي تقول: «وأين هو ذلك المنزل.»

فأجاب: «قرب رصيف المرفأ، قريباً من المدينة حيث كانت تعيش جوليا وأبواها. إنه قصر كولبن.» وارتسمت على شفتيه ابتسامة تبعث على الغثيان.

الفصل الرابع

انفجرت ضحكة عالية من اعماق كارولين ما أدهشهما هما الاثنين، ثم هتفت بلهجة ظافرة: «ها قد نسفت كل شيء. اظنك رأيت اللوحة المعلقة على نافذة المنزل بأنه معروض للبيع، ففكرت في اختيار ذلك المنزل لكي توقع بي بجعلي أتعاون معك، ولكن والديّ جوليا قد باعا المنزل.»

قالت ذلك دون أن تذكر أنهما خسرا معظم ثروتهما مؤخراً فانتقلا إلى منزل أصغر. ذلك أن معرفة ادوارد بذلك سيمنحه الكثير من السرور، وتابعت تقول: «من سوء حظك أنني أعرف من اشتراه، لقد اخبرني عنه جو فيشر، انه بائع سيارات وقد دفع فيه ما يقرب من مليون دولار.»

قال بأسى: «أرجوك، ان محفظتي مازالت تنوح. ان المرء لا يحصل على ما عمره ثلاثمائة عام، بثمن رخيص.»

قالت باستهزاء: «مهلاً، ها قد اكتشفت كذبك يا ادوارد، إياك أن تدعي أن بامكانك ذلك.»

أجاب: «آه، ان بإمكاني ذلك. ان حرماني من كل ما كنت أريده، من دون ذنب جنيته، بما في ذلك المرأة التي أحبها، هذا كله جعلني أركز عقلي واهتمامي.»

أجفلت. المرأة التي يحبها؟ وشعرت بطعنة في قلبها. لقد كان يحب جوليا إذن، كان يحبها حقاً. وقد كانت جوليا تقول الحقيقة. أما هي كارولين، فلم تكن بالنسبة إليه سوى نزوة عابرة. وشعرت بصدمة بالغة، وكأن ثمة من

صفق الباب في وجهها. لقد كانت تحاول دوماً ان تقنع نفسها بأن ادوارد كان يكن لها بعض الشعور، وقد كانت خطته بأن يتزوجا تبدو حقيقية في ذلك الحين، فقد كان يبدو مخلصاً لها تماماً، هذا بينما كان قد منح قلبه إلى جوليا... أما شعوره نحوها هي فقد كان لا يعدو طيشاً ورغبة، ولا شيء غير ذلك.

ها قد تأكدت كارولين الآن، وكان هذا درساً مفيداً، ولقد اشتد غضبها منه الآن. ليس الحب بل الشعور بالذنب هو الذي جعله يعود الآن للبحث عن أمه. فهو لا يعرف كيف يحب. أما ديانا، ديانا الحلوة الغالية، فمن الأفضل لها أن تبقى بعيدة عنه.

قالت ببرود: «ان ما تقوله لا يقنعني، وأنت لم تشتر قصر كولبن، فقد وصف لي جو الرجل الذي اشتراه...»

قاطعها قائلاً بسخرية: «إنه طويل القامة نحيفها، في حوالي الخامسة والأربعين من عمره، اشيب الشعر بالغ الأناقة. يتكلم برقة بلكنة إيطالية. إنه وكيلي إميليو توسكاني.»

اتسعت عيناها... ومع ذلك، لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً، مليون دولار؟ وسألته بذهول: «هل هذا الرجل وكيلك؟»

أجاب: «وهو كذلك بائع سيارات، فهو مدير فرعي الجديد في فلوريدا. انك ستصدقينني عندما انتقل إلى البيت.»

نظرت إليه بذعر. لا شك أن من العجب أن يشتري المنزل الذي كانت جوليا ملكته كما كان قال مرة ساخراً. وفي هذا ما يمنحه شعوراً داخلياً بالرضى. ويزداد شعوره بالنجاح

وهو يناله من والديها، ما يجعل بإمكانه ان يكتسحه ببذلاته الأنيقة وسيارته الإيطالية الفارهة بينما هما يعانيان الخزي من جراء انتقالهما إلى شقة صغيرة بجانب مكان لبيع البيتزا. إنه انتقام ملائم من أولئك الذين ساعدوا في وضعه في السجن. إذن ماذا بالنسبة إلى عقابها هي؟ وارتعش جسدها وتجمدت عيناها خوفاً.

ارتسمت على فم ادوارد ابتسامة رضى لا تطاق، جعلتها تصدق انه حقاً غنيّ، وغني جداً. لقد منحه المال والنفوذ هذا الشعور بالثقة والارتياح، ولم تتمالك من الاعتراف، حاقدة، بأنه قد تمكن فعلاً من الوصول إلى القمة وتحقيق كل طموحاته رغم عدم دخوله الجامعة، ورغم السجن. طموحاته في أن يصبح غنياً ذا نفوذ... أن يكون شيئاً ما، لا بد إذن أن الرولز رويس سيارته حقاً مادام له صلة بتجارة السيارات. لقد كوّن ادوارد ثروة، فماذا عن الأمور الأخرى؟ وتمتمت ذاهلة: «ما أغرب هذا.»

ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وهو يقول: «ان الذهول مازال يتملكني، أنا نفسي، نوعاً ما. ذلك أنني تقت إلى اقتناء ذلك القصر منذ اللحظة الأولى التي رأيته فيها، منذ خمسة عشر عاماً تقريباً. مثل أشياء أخرى رأيتها وتقت إليها.»

تأوهت بذعر، لقد شعرت وكأنما تفتت كل ما كانت تعتبره صلباً متماسكاً. فإن وجود ادوارد بالقرب منها سيكون العذاب بعينه إذا هي لم تمنع ذلك.

قال وقد بدا العزم على شفتيه: «أرى انك قد تضايقت لهذا. ولكنني لن أرحل هذه المرة. فإن إعادة تكوين حياتي

هي جزء من خطتي. فأنا سأعيش في ذلك المنزل، وكذلك أمي، وسيحترمني كل انسان.»

قالت بصوت أجش: «إن احلامك هذه لا يمكن ان تتحقق.»

ابتسم وكأنه سيثبت لها خطأها. وخجلت من نفسها إذ تحس بشيء من الحسد نحوه، بينما كان هو يقول: «كلا، فقد انتهيت من الأحلام. بإمكاني أن احققها الآن. فأنا عائد الآن بمستوى واسع. لقد كنت فقيراً مرة، ولكنني الآن غني وبإمكاني أن اثبت حقي في اورنتي. بإمكاني أن اشتري الأشياء التي تحبها أمي، حتى ولو كانت مترددة في الرضى عني، فإن بإمكاني اقناعها بأن تأتي لتتحدث إليّ في حديقة قصر كولبن. وسنجلس تحت الأشجار حيث اطلب منها القدوم للعيش معي. إن حبها لي، وتلك الحديقة الرائعة سيتغلبان على كل العقبات.»

لم يكن في تلك الخطة أي مجال للخطأ، إذ يبدو انها تحقق لوالدته اثنين من احلامها، حديقة رائعة الجمال، وعودة ابنها الوحيد. ولو اختلفت الظروف عما هي عليه الآن، لكان قد نجح فعلاً في استعادة أمه بكل سهولة.

تنهدت كارولين. فهي حين ذهبت مرة إلى هناك مع أمه، وكان ذلك لمهمة خيرية، تجاهلتا الحديث والطعام، وبقيتا تجولان في انحاء الحديقة ساعات. لقد أمضتا وقتاً سعيداً حينذاك، مثل تلك الأيام التي كانتا تمضيانها خلف منزل تروتسكي يجمع بينهما حب النبات.

قالت له: «ليس بإمكانك أن تشتريها، ليس بامكانك ان تشتري السعادة.»

أجاب ببطء: «انني اشتري الوقت، وربما قد تفيدك أموالي. ذلك أن رغبة الشراء تتملكني الآن، وقد رأيت أن كاراج جدك معروض للبيع...»

قاطعته بعنف: «إنس هذا، فهو لن يبيعه لك ولو كنت الزبون الوحيد في العالم.» وألقت عليه نظرة جانبية وهي تتساءل عن مبلغ ثرائه. كان يبدو ثرياً حقاً. حتى عندما كان في قمة الفقر، كان يبدو وكأنه من أولئك المحاطين بألوف الحراس والخدم، ما كان لا يحتاج معه إلى رفع يده بطلب ما.

ابتسم ادوارد بجفاء قائلاً: «يبدو انك ستمنعين جدك من التفكير في بيع الكاراج لي، ولكن يبدو لي أن القلق سيتملكه إذا أنا اشتريت الأرض التي بجانبه.»

قالت: «من المؤكد أن رؤيته لك بجانبه لن تعجبه. ولكن لماذا يتملكه القلق؟» وتملكها القلق والتوتر وهي تسمعه يقول ذلك، أتراه يدبر خطة ما؟

أجاب بهدوء: «لأنني سأبني معرضاً للسيارات عليها، فأنا مختص بالتعامل مع السيارات من بيع وشراء، وتأجير، وخدمة، واصلاح، وذلك في البندقية وروما وميلانو وواشنطن وفلوريدا مؤخراً. وقد رأيت أن مدينة اورنتي مشغولة جداً بحفلات الزفاف و...»

قاطعته قائلة: «نعم، ان حفلات الزفاف تسير بنجاح منذ اكثر من عام، الآن.»

قال: «حسناً، لقد خطر لي أن بامكاني القيام بتأجير السيارات الكلاسيكية كعمل اضافي، رولز رويس... فيراري... بنتلي. فهذه اكثر أناقة من

سيارات الليموزين الكبيرة الحجم، أليس كذلك؟»

حدقت فيه ذاهلة، وهي تتصور الطلاب وهم يستأجرون سياراته لنزهاتهم المدرسية، ثم قالت: «هل ما تقوله صحيح؟» نعم، لماذا لا يشتري أرض دالبن مادام قد اشترى قصر كولبن؟ وشعرت بقلبها ينقبض.

ابتسم قائلاً: «بالطبع.»

قالت: «إذا أنت اشتريت الأرض، فإن رئيس بلدية المدينة سيرفض اعطاءك تصريحاً بالبناء فوقها، فأنت غير مرغوب بك تماماً هنا.»

أجاب: «إذا هم لم يرحبوا بي كتاجر من المستوى العالي، فسيكونون في منتهى الحماقة. ولكن هذا غير مهم. فإن مجرد أن يمتلك أحد اكبر منشئي للكاراجات المتطورة في أوروبا، تلك الأرض، هو كفيل بأن يصرف نظر أي شخص عاقل عن شراء كاراج جدك داني بلايد.» وابتسم لها بعطف ساخر جعلها تشتعل غضباً، بينما تابع يقول: «إنني سأنشيء عمل اصلاح السيارات على أرضي، كذلك. ومحطة غاز وكل ما يتعلق باعمال السيارات. فلن يكون ثمة حاجة إلى كاراجين متجاورين، أليس كذلك؟»

قالت بارتياب: «أيها الحقير. إن جدي لم يضرّك بشيء.»

أجاب بلهجة الوعيد: «ولكنك أنت فعلت ذلك.»

شحب وجهها، وقالت: «فهمت.»

قال: «بإمكانك أن تساعديني في استعادة أمي، فإذا رفضت، فإن عمل جدك سيصيبه الكساد دون أن يستطيع بيعه. وسيزداد تقدماً في السن ووهناً وسيكسد المكان امام عينيك دون أن تجدي من يشتريه.»

أخرسها مشروعه هذا. إنه يظن الأمر بهذه البساطة. وأن حياته ستكون غاية في البهجة إذا هو أخذ ينثر نقوده على كل انسان، فيشتري أو يدمر معارضيه.

قالت تعترف ببرود: «ان تخطيطك لا عيب فيه. ولكن هنالك شيء لم تحسب حسابه، لسوء الحظ.»

استقام في جلسته ينفض الرمل عن اكمامه، وهو يسألها: «اخبريني ما هو، ثم انظري كيف اتغلب عليه.» وابتسم بغرور. وشعرت هي فجأة بالرغبة في محو هذه الابتسامة، فهو يعتقد أنه من الممكن أن يدمر أي انسان في سبيل تحقيق مآربه.

وفكرت في أن صدمة قصيرة قد تنفعه، خصوصاً وأن جدها وديانا غير موجودين حالياً ليشهدا ما يجري. ذلك أن تقدم خطته يدفعها إلى أن تعلمه بشأن ديانا. لأنه إذا هو علم عنها كل شيء، فإنه سيلغي خطته في الاستقرار هنا لأنه يتأكد، عند ذاك، من أن أمه لن تغفر له أبداً. عند ذلك ستكون ديانا بمأمن تام. فان ادوارد لن يرغب بها وبمسؤوليتها. ولن يكون بامكانه أبداً أن يرغم المحكمة على أن تسلمه الوصاية عليها، ولو بعد مليون سنة.

قالت بهدوء: «تعال معي إلى بيتي، فإن لديّ شيئاً أحب أن اطلعك عليه.»

وبينما عادت كارولين بسيارتها إلى منزلها، يتبعها ادوارد بسيارته، كانت تحاول جاهدة، تركيز اهتمامها على الطريق أمامها وليس على ما هي مقدمة عليه من مواجهته بنتيجة سلوكه الماضي. وتساءلت عما إذا كان سيغفر ذلك

لنفسه يوماً ما، أو يسامحها على عدم إخباره بما حدث. إنها على استعداد لاطلاعه على الحقيقة، وهي أنها وديانا مشغوفتان الواحدة بالأخرى. وان بمقدورها اكثر منه ان توفر لها العناية والحب اللازمين، وأنه وكل ما يملك من أموال، ليس بإمكانه ذلك. ان ذلك سيكون بالنسبة إليه، صدمة هائلة شديدة الايلام، ولكن عليها أن تبقى قوية، لتريه نتيجة عدم اكتراثه بحياة الآخرين.

وعند باب المنزل، قالت له بهدوء: «انني اسألك لآخر مرة، ومن أعماق قلبي يا ادوارد، ولمصلحتك الخاصة، هل لك في أن تترك اورنتي الآن، في هذه اللحظة، ثم لا تعود أبداً؟»

أجاب برقة: «كلا، انني لن اتخلى عن خططي. ولكن لماذا رغبتك الشديدة هذه في ابعادي عن المدينة، يا كارولين؟»

فتحت الباب باستسلام ودخلت، ثم همست تقول: «لأن ما ستراه لن يعجبك.»

نظر إليها مقطباً حاجبيه وقال: «أريني ما عندك.»

ثم تنفس بعنف وهو يتابع: «هل انت متزوجة؟»

اجابت: «تفضل معي.»

فكرت كارولين، وقد جف فمها، في أن لحظة انكشاف الحقيقة قد دنت، ان له الحق في أن يعلم، ولكن... وتمنت لو تقع صاعقة تمنع ما سيحدث الآن. لقد أودى الخوف بكل تعقل لديها. ربما هذا خطأ ستندم عليه... ربما سيأخذ منها ديانا. وشعرت بما يشبه الغصة في حلقها. يجب ألاّ تسمح له بأخذها حتى ولا في رحلة، ذلك ان الخبل والارتباك

سيتملكان العزيزة المسكينة وهي ترى نفسها بعيدة عن كل ما ألفته وعن الناس الذين احبتهم.

كلا، من الغباء منها ان تفكر بهذا الشكل، فقد سبق وفكرت في كل ذلك ووجدت أن مركزها هو الأقوى. ان العشرات من الناس سيشهدون على حسن علاقتها بديانا. لقد احسنت في ما اختارت أن تقوم به، وكانت تحمي ديانا حتى في هذه اللحظة، إذ تحاول منع ادوارد من تدمير حياتيهما. ان ما تقوم به هو أهون الشرين، ولكن هذا لم يخفف من شعورها بالتعاسة. وتعثرت وهي تصعد السلم، ربما هي الوحيدة التي تواجه المتاعب. إذ أنه سينفجر ثائراً في وجهها. واخذت ترتجف.

وعلى قمة السلم، وقف ادوارد يتطلع بحيرة إلى البالونات الملونة المعلقة في الانحاء والتي تشير إلى ذكرى مولد ديانا الذي احتفلوا به منذ ايام وسط الضحك والمرح. وشعرت بالاضطراب وهي ترى عينيه تظلمان، ولكنه لم يعلق بشيء.

نادى بصوت عال: «داني.»

قالت: «لقد سبق واخبرتك أن جدي غير موجود.»

قال: «انني اطمئن فقط.»

ودخل إلى غرفة الجلوس الصغيرة. ولكنه ما لبث أن جمد في مكانه كما كانت تتوقع. لقد اخذ ينظر، بحيرة واضحة، إلى رقعة ملصقة على الباب تشير إلى مكان المطبخ. وقد كتب عليها بخط ضخم واضح، المطبخ. ودار برأسه في انحاء المكان، فاسترعى انتباهه سهم أسود يشير إلى المكان الذي اقبلا منه عند كلمة خروج ثم غرفة النوم ثم حمام.

كانت هناك رقاع على الأدراج تشير إلى الفيديو والأشرطة. ثم قائمة مختصرة بمحتويات الخزانة.

سألها: «اترى جدك قد ادركه الخرف يا كارولين؟»

أجابت: «كلا.» وأخذت تتفحص الطريق لكي تندفع هاربة عندما...

وأخيراً سألها عابساً بحيرة بالغة: «وما معنى هذا كله؟»

لم تستطع الإجابة. فألقى نظرة على وجهها الشاحب وما بدا عليه من تعاسة، ثم اخذ يطوف في الأنحاء، بينما هي تنظر إليه.

ثم قالت بصوت أبح وخفقات قلبها تتسارع: «سأصنع لك قهوة.»

فتساءل بحدة وهو يمسك بكتابين ملوّنين للأطفال من بين كومة كانت اشترتها حديثاً، تساءل قائلاً: «كتب للقراء المبتدئين؟»

أجابت بعصبية: «نعم، يا ادوارد.» وساد صمت عميق. ما اسرع ما سيعلم الحقيقة، فهذا دفتر ملاحظات ديانا في يده.

وأخذ يقرأ محاولاً ان يحل طلاسم هذا الخط الطفولي: «طعام الافطار» «غسل الأسنان» «الخروج؟» «هل ارتديت ثيابك؟» «كيف شعرك»...» وسكت ثم سألها: «ما هذا يا كارولين؟» ولكنها اخذت تحدّق فيه دون أن تجيب، بينما امتلأت عيناها الكبيرتان الكحيلتان بالدموع. فحنى رأسه على الدفتر مرة أخرى وأخذ يقرأ البقية: «الفرشاة على طاولة الزينة في غرفة النوم. هل انت بحاجة إلى معطف؟ حذاء للخروج؟ كيس للنقود؟

هل الجو ممطر؟» وتطلع إلى كارولين سائلاً: «ما هذا؟ وماذا يجري؟»

هربت وهي تقول بصوت باك: «سأحضر قهوة.» اندفع خلفها على الفور، فازداد ذعرها ولكنه وقف ومد يده يتفحص رقعة مربوطة إلى يد إبريق القهوة. ثم أخذ يقرأ بحيرة: «هل نسيت وضع الماء في الإبريق؟ ضعي الإبريق على الغاز.» وإذا بكارولين تهرق القهوة على المنضدة. فقد ابتدأ الآن يتفحص دفتر ديانا الثاني وهو الذي كانت تضعه قرب فراشها، لكي تحضره إلى مائدة الافطار كل صباح. واخذ يقرأ: «النهوض من الفراش، غسل الوجه. تنظيف الأسنان، ارتداء الثياب.» وقال يسألها بارتياب: «هل لديك طفل هنا؟»

قالت بحذر: «كلا يا ادوارد. ليس لأحد طفل هنا.» وأخذت تغالب ارتجاف يديها، وهي تتمتم: «تباً لذلك، لقد نسيت اطفاء الغاز تحت إبريق القهوة.» وفجأة، بدا على وجهه الارتياك مزيجاً بالبشاشة وهو يهتف بها: «كارولين...»

أجابت باضطراب: «انتظر لكي تنتهي القهوة، ثم اشرح لك كل شيء.»

قال ببطء: «انك لم تريديني ان أمكث في هذه المدينة قريباً منك. وكنت كارهة لاحضاري إلى بيتك. وكنت خائفة مما سأراه من كتب للأطفال وتعليمات لشخص أبله... ما معنى هذا كله؟»

أجفلت. ها إنه على وشك الوصول إلى الحقيقة. وابتدأ خلفها إبريق القهوة في الصفير، ولكنها لم تستطع أن تتحرك لإطفاء الغاز. فقد تسمّرت في مكانها وهي تكاد

تبكي. كانت خائفة على نفسها، خائفة على ديانا. وأيضاً، لدهشتها، كانت تشعر بالأسى لأجله ولما فقده في لحظة طيش.

هتف بها وقد تملكته ثورة هوجاء: «اخبريني يا كارولين عما هناك وعما تخفينه عني.» وأمسك بكتفيها يهزها بعنف، فصرخت به: «دعني. انك تؤذيني، انها... انها أمك.»

تركها فجأة، فترنحت تكاد تسقط وقد اصابها الدوار، بينما كان يصرخ فيها: «أمي؟ ماذا تقولين؟»

أخذت تحاول التماسك ببطء وهي تنظر في عينيه المخيفتين ثم همست: «بامكانك الدخول إلى تلك الغرفة الموجودة داخل غرفتي، لترى بنفسك.»

فاندفع إلى الغرفة يتطلع في انحائها، وما لبث ان اخذ يتشمم حوله، ثم التقط زجاجة من عطر اللافندر الذي كانت أمه تستعمله على الدوام منذ قدمت هي وزوجها بيل تروتسكي من البندقية بصحبة ابنهما ذي الجاذبية المدمرة ادوارد والذي قلب حياتهما رأساً على عقب. واطلقت آهة خافتة. ها هوذا قد علم الآن. وقالت بلهجة تفيض بالإرهاق: «ها انتذا قد عرفت كل شيء.»

قال وقد توتر فمه وبدا الغضب في عينيه: «يوجد حاجز على هذه النافذة.»

قالت: «هذا صحيح.»

وانتظرت والألم يفتك بنفسها، بينما كان هو يتفحص انحاء الغرفة. كان واضحاً أنه ميّز بعض الأشياء التي

تخص أمه، لأن البرود كسا ملامحه وهو يتمتم: «كلا... كلا... هذا غير ممكن.»

وغمر الحزن نفسها وهي تراه يلمس بعض اثواب أمه في الخزانة، وينحني إلى الأمام ويدفن وجهه بملابس أمه الجميلة والتي يعبق منها رائحة اللافندر.

قالت بوهن: «لشد ما أنا آسفة، يا ادوارد.» فرفع كتفيه متوتراً، ومضى يفرد قامته ببطء شديد إلى أن استوى واقفاً في وسط الغرفة جامداً كالحجر.

الفصل الخامس

كان ادوارد يحاول جاهداً، تمالك نفسه. ثم قال: «لا أفهم شيئاً. أين أمي؟»

قالت: «اذهب إلى غرفة الجلوس وسأحضر القهوة.»

كانت يداها ترتجفان وهي تضع فنجانين على الصينية الصغيرة التي كانت يوماً تنتمي إلى زوج ديانا البولندي. وعندما وصلت إلى غرفة الجلوس كانت عيناها ممتلئتين بالدموع، وكان هو جالساً على مقعد كبير يحدق في الفراغ، وكان واضحاً أنه يجاهد في سبيل السيطرة على مشاعره.

وبادرها قائلاً دون ان ينظر إليها: «أين هي أمي؟»

أجابت وهي تقف متصلبة تتنقل من قدم لأخرى: «انها في رحلة مع جدي.» ما الذي يقوله الانسان في موقف كهذا؟ ان لديها، في العادة، ما يحمل التعزية والسلوان في كل مناسبة. ومهما كان نوع المشكلات التي سيحضرها إليها تلامذتها، فقد كانوا جميعاً يشعرون بالراحة وبالقدرة على مواجهة متاعبهم. ولكنها الآن لا تجد ما تقوله. كان من المرعب أن تقول لانسان ان أمه لم تعد الشخص الذي يعهد. وكان هو الآن ينتظر منها المزيد، وحاولت هي أن تتشجع بالقول: «ان ديانا، أمك بخير. وهي بشوشة جداً وصحتها حسنة.»

قال بحدة: «ولماذا تحتفظون بها سجينة؟»

قالت: «اننا لا...»

www.elromancia.com

قاطعها بحدة: «ولكن يوجد حاجز على النافذة، ان أمي في السبعين فقط من عمرها ولا أظنها ستتسلل هاربة ليلاً إلا إذا كانت مرغمة على البقاء ضيفة هنا. هل هي تحاول الخروج؟»

حدقت فيه بجمود، وهي تفكر في كثرة محاولاتها للخروج، أتراه لم يفهم؟ كان الأمر يبدو لها واضحاً ولكنها مالبثت أن ادركت أن عليها أن تخبره ببطء، وبغاية اللطف.

قال: «وما الذي تصنعونه بها، ولماذا هي هنا قبل كل شيء؟»

أجابت بهدوء: «لقد جاءت إلينا منذ عدة سنوات، كانت بحاجة إلى من يعيش معها. انك تعلم أنها كانت دوماً، وجدي، صديقين حميمين.» والتقت عيناها بعينيه، فارتجفت وهي ترى مدى ما فيهما من كآبة، فناولته فنجان القهوة وهي تتابع قائلة: «ان الحواجز هي لأجل سلامتها. انها ميالة إلى السقوط، انك تعلم كيف تكون النساء الكبيرات في السن، كما أنها تسير اثناء نومها.»

نظر إليها بحدة وقال: «لم تكن هذه عادتها قط.»

قالت برقة: «انها... انها ردة فعل الصدمة.»

تألقت عيناه غضباً، ثم قال: «ورقاع المساعدة على التذكر تلك... هل هي لأجلها؟»

أومأت برأسها وهي تأخذ رشفة من فنجانها. وارتجفت وهي تراه يراقبها بانتباه، وقالت: «يظهر أن ليس لديك فكرة عن قدومها للعيش معنا، إذن؟ ان أسرتها في سولارم...»

قال: «هذا احد اسباب وجودي هنا. عندما اتصل الأقرباء

ببيتها هاتفياً، اجابتهم امرأة غريبة. وقد انكرت أن تكون تعلم شيئاً عن أمي.»

قالت بهدوء: «انها جدة روي فروست، وهي لا تعرف أين ذهبت أمك.»

عاد يعبس قائلاً: «فروست؟»

قالت: «انهم اقرباء بعيدون لأسرة كريستي.»

قال: «لقد افترضنا أن أمي شعرت بالعار لما حدث، وأن هذا هو السبب في عدم اجابتها على رسائلنا.»

قالت بهدوء: «ان الرسائل هنا، فقد كان مكتب البريد يحولها إلينا.» وجذبت كرسياً إلى جانب خزانة عالية ووقفت عليها تتناول صندوقاً من فوقها، وهي تقول: «ان رسائلك هي أيضاً هنا، وقد خبأتها لئلا تراها ديانا وتمزقها. لقد فكرت في انها يوماً ما...» وارتجف صوتها وهي تحاول جاهدة تمالك مشاعرها، لتتابع قائلة: «يوماً ما، ربما أحبت أن تقرأها.»

أخذ يقلبها وقد تحجرت ملامحه، ليكتشف كومة الرسائل الضخمة التي كان ارسلها مكتوبة بخطه الرائع الجمال والذي كانت هي بالغة الاعجاب به. وكانت كلها غير مفتوحة.

قال ببطء: «كنت اكتب اسبوعياً. ولم اكن اتوقع جواباً في الواقع، ولكنني كنت أظنها تقرأ اخباري. اخبريني يا كارولين. كيف جعلتها تكرهني طوال هذه المدة؟ هل كنت تحدثينها دوماً عن أولئك الذين ماتوا؟» وكان يتكلم بادي الغضب وقد احاطت به اكوام رسائله الحزينة غير المرغوب فيها.

قالت: «أنا؟ كلا، انني أقسم...»

قال بحدة: «لا يمكنني تصديق ذلك. لقد كنت ابنها الذي انجبته في أواسط عمرها، الولد الوحيد الذي طال انتظارها له. وقد أكملت مدتي في السجن رغم أنها كانت ظلماً، كنت أظن انها لابد قد سامحتني الآن.»

وتساءلت كارولين عما إذا كان بامكان أية أم ان تغفر لولدها المشغوفة به حباً لقتله امرأة وطفلها ثم رفضه تحمل مسؤولية عمله هذا. ذلك أن ادوارد قد دمّر كل آمالها فيه، وبدّد ثقتها بأنه أروع الأبناء في العالم. فلا عجب ان اهتز عقل ديانا لذلك.

قالت: «لقد حاولت أن أثير اهتمامها برسائلك، وكذلك فعل جدي، ولكنها كانت تصرخ وتصر على ابعادها عنها.»

وجذبت كارولين نفساً عميقاً وقد وجدت من المستحيل عليها أن تقول ما عليها قوله، ولكن لم يكن لديها مناص، فعادت تقول: «ولكن أمك كانت تشمئز من مجرد التفكير بك... انها... انها لم تصفح عنك قط لفعلتك تلك...»

قال: «انني لم افعل شيئاً اخجل منه. انها ستعلم ذلك عندما نتحدث معاً، وأنا سأثبت براءتي.»

قالت: «ولكنك غير بريء.»

أصر قائلاً: «بل أنا كذلك. انني سأستعيد الحياة التي فقدتها واظفر مرة أخرى بحنان أمي. ان أبي ميت الآن وقد فات الأوان لكي يعلم انني اتهمت ظلماً. ولكنني لن أدع أمي تموت شقية.»

قالت: «انها ليست...»

قاطعها قائلاً: «ولكنها من دون ابن. هل لديك فكرة عما

يعني هذا بالنسبة إلى امرأة من جنسيتها؟ ليس لها إبن لأنها تبرأت منه بنفسها. إنني لا أعرف تأثير ذلك عليها، ولكن مهما كان ما تظهره للعالم، فهي غير سعيدة في داخلها.»

وأدار إليها عينيه السوداوين العنيفتين وهو يتابع قائلاً: «وكل ذلك لأن كلبتين صغيرتين صممتا على أن تلقنا درساً لفتى. لقد كانتا تظنان أنه يواعدهما هما الاثنتين، في وقت واحد.»

صرخت قائلة: «كلا.»

سألها وهو يطيل النظر في العنف الذي يفيض من وجهها: «أمازلت تنكرين الحقيقة؟ ألا تشعرين بالندم؟ ولا بالشفقة على ما حدث لي؟»

أجابت بصوت خفيض: «انني أثق بالعدالة.»

قال بعنف: «وكذلك أنا.» وعاد يتأملها مرة أخرى مفكراً، وعيناه تجولان في أوصالها المرتجفة.

وانفجرت باقتناع ناتج عن اليأس: «انها لن تصفح عنك.» وسرعان ما غمرها شعور بالعطف وهي ترى وجهه يزداد شحوباً والألم يزيد الخطوط التي تحيط بفمه، عمقاً. ولكن عليها أن تستمر في ذلك، ان تتعمد القسوة، وذلك لأجل ديانا. وصرخت به وقد جعل القلق صوتها خشناً: «تعوّد على هذا الواقع. فهي ما أن تسمع باسمك، حتى تبدأ بالبكاء ثم لا تسكت قبل ساعات، انك لا تستطيع ان تتصور ذلك المشهد، يا ادوارد.»

قال بوحشية: «أيتها الماكرة الآثمة.»

قالت محتجة: «كلا، ان هذا كله صحيح.» كانت تكره ما عليها أن تقوله، ولكنها كانت تعلم من العزم الذي يبدو على

فمه المتوتر، انها مضطرة لذلك. فسعادة ديانا تأتي أولاً، وكل شخص آخر يأتي ثانياً. وعادت تتابع: «انك لم تسمعها قط تبكي وهي تصرخ بكراهيتها لك، ومبلغ ما أنت عليه من قلة شرف وإثم وسفالة.»

بدت كارولين شبه مجنونة وهي تتابع قائلة: «وبعد أن تنفس غضبها، تعود فتنطوي على نفسها مريضة مرهقة. وكذلك نحن. ان هذا شيء لا يطاق.»

قال بصوت قدّ من فولاذ: «يكفي ما قلته، فقد اصبحت لديّ صورة كاملة.»

قالت ضارعة: «ارجوك، ارجوك ألاّ تصر على هذه الفكرة المجنونة في أن تصلح الماضي. ليس لك أن تلومني لرؤيتي موقفها اكثر وضوحاً من موقفك. ثم انها كانت بريئة...»

قاطعها قائلاً بنظرات شاردة: «نعم، لقد كانت بريئة، وتألمت، ولهذا السبب...»

ووقف قلبها لحظة عن الخفقان وهي تلحظ توعداً بالانتقام في تلك العينين العنيفتين. ولكنه أرخى اهدابه قبل ان تتأكد من ذلك. ولكنها فكرت في أنه لا يمكن أن يعتبرها مسؤولة عما حل بأمه من تعاسة. وانه بالرغم من كل تبجحاته، كان من الذكاء بحيث يدرك، وليس فقط يعترف، بأن كل هذا ما هو إلا نتيجة افعاله التي سلبته كل ما كان يحرص عليه.

وفكرت وهي تغالب دموعها، في أنه لا شك يتألم كثيراً. ولكنها ابتلعت الغصة التي كانت في حلقها. عليها ان تتخذ القسوة معه، فهو يجب ألاّ يواجه أمه، وعليها هي أن تمنعه من ذلك.

قالت: «انني اقدر ما كنت تتمناه من أن أمك قد قلّ غضبها عليك وأنك تسعى من كل قلبك إلى العودة للعيش معها، ويمكنني تفهم مبلغ خيبة أملك، ولكن عليك، أن ترحل عن هذه المدينة، وأنا سأكتب اليك، كل فترة، عن احوالها.»

تمتم عابساً: «انني لا اثق بك ولا بدوافعك. من الواضح ان منزل أبي قد بيع. انني اعلم أنه لم يكن بيتاً فخماً، ولكن أبي بذل غاية جهده لكي يحوله إلى قصر بالنسبة إليّ وإلى أمي. والآن، ما أريد أن اعرفه هو، أي خبث جعلك تقنعينها بتركه، في الوقت الذي كانت تعشق فيه حديقتيها لتأتي إلى هنا حيث لا يوجد شيء؟» ومال إلى الأمام وقد بدا العنف في ملامحه وهو يتابع قائلاً: «ما هو مدى سيطرتك على شؤونها، يا كارولين؟»

غاص قلبها وأجابت كارهة: «من خلال المحامي وبموافقة أمك... قد منحنا، أنا وجدي، السيطرة التامة.»

قال بازدراء: «ها قد وصلنا الآن إلى شيء ما، أيتها الكلبة الطماعة. لقد استغللت امرأة حسنة وحيدة لكي تستولي على نقودها القليلة، ثم ترغميها على العيش في هذا الوضع المزري.»

قالت حانقة: «إنه ليس وضعاً مزرياً، فالشقة نظيفة، ونقودها مودوعة في حساب لها بالمصرف ندفع منه نفقات الأطباء.»

ترك كرسيه، ثم اقبل عليها بخشونة وهو يقول ببطء: «الأطباء؟ ما الذي تشتكيه؟»

صعقت من الخوف، ولكن كان عليها أن تخبره، فقالت برفق: «اننا جميعاً نحتاج إلى نقود لتسديد اثمان العلاج

الطبي، يا ادوارد. ألا تعلم ما الذي سببه سلوكك لأمك؟»

أجاب بمرارة: «آه، نعم، لقد اخبرني أبي بذلك بكل تفاصيله.»

وسكت، بينما كانت عيناه تتألقان كجوهرتين سوداوين. كان يتألم، وقد أصيب كبرياؤه وغروره. لقد كان ذلك واضحاً على ملامحه المتحجرة. وتألمت هي أيضاً لأجله. فقد اندفع إلى ذهنها كل ما كانت تحاول نسيانه، ووجدت نفسها مرغمة على البوح بكل شيء، وبكل قسوة ووحشية.

قالت وهي تتذكر شحوب وجه بيل تروتسكي الهائل، والظل المرتسم اسفل عينيه، والألم البادي على فمه المتكبر... ثم الغضب... الغضب الهائل، قالت: «كنت اظنه رفض رؤيتك.»

قال باختصار: «لقد ارسل خبراً إلى محامي يخبرني فيه أن لا اعود إلى البيت أبداً، حيث انهما قد تبرءا مني.» وأخذ يسوي من تجاعيد بنطاله عند الركبة وكأنها كانت أهم ما يشغل ذهنه. وشعرت كارولين بصدمة، فقد كانت تعلم مقدار حبه لأبيه، وعاد يقول: «ولن اتمكن أبداً من تقبل فكرة أن أبي مات وهو يظن بي أسوأ الصفات.»

قالت بصوت أجش: «لقد كان رجلاً ممتازاً، رجلاً محترماً وذا كبرياء.»

قال: «أما أنا فلم أكن كذلك.»

قالت وهي ترتجف: «ليس بعد أن... ليس بعد ذلك اليوم. كلا.»

وعادت بذاكرتها إلى بيل تروتسكي والسرور الذي كان يضيء وجهه كلما كان ادوارد قريباً منه. وكيف كان

الاثنان، الأب والإبن، يذهبان لنزهات طويلة سيراً على الأقدام، أو يستقلان قارباً صغيراً يجتازان به نهر لواسكس إلى منطقة المستنقعات حيث يجلسان ساعات يتحدثان.

وضرب ادوارد بقبضته المنضدة، ما جعل الفنجانين يهتزان بقوة، وهو يقول: «كم من الأبرياء وقعوا ضحية ما حدث.»

فأجابت وقد توترت ملامحها: «انني مسرورة إذ ادركت هذا.» وتفجرت الدموع من عينيها. لقد مس عنفه وأنانيته حياة كثيرين، ودمرا العديد من الأشخاص.

قال: «انني اعتبرك مسؤولة عن كثير مما حدث.»

قالت: «ماذا؟ اتلومني؟»

قال: «عندما رفضت ان تصدقيني، تلاشت كل الشكوك التي كانت تحوم حول تحميلي ذنب ما حدث. لقد شهد عدة اشخاص بأنهم سمعوا صوت صفق باب السيارة وكأنني خرجت من السيارة، كما قلت أنا، تاركاً جوليا وحدها لتقود السيارة. ولكن شهادتك بأنك رأيتني...»

قالت: «لقد رأيتك فعلاً.» وتملكتها التعاسة وهي تتمنى لو لم تكن رأته، أو لو أنها كانت في مكان آخر. في أي مكان. ولكن سماعها ذلك الاصطدام المريع، ورؤيتها ذلك المنظر الهائل...

قال متوتراً: «لقد كنت سمعت شيئاً، ولكنك اخطأت تفسيره. انت، انت وحدك كان بامكانك ان توقفي ذلك المدّ من الكراهية والهستيريا... لو انك جئت إليّ لتتحدثي معي عندما خرجت من السجن بكفالة. أنت بنزاهتك الحكيمة وحس العدالة الذي تتمتعين به. ولكن عندما انحزت إلى

جوليا، إنحاز الجميع معك حتى انهم ظنوا انهم كانوا مخطئين بالنسبة إلى سماعهم صوت انصفاق باب السيارة. كانت القضية بحاجة إلى شاهد واحد يا كارولين، وكنت أنت ذلك الشاهد. انني بريء يا كارولين وسأثبت براءتي إذا أسعفني الحظ. نعم، انني الومك أنت.»

انفجرت بغضب عنيف لم تستطع السيطرة عليه، يدفعها إلى ذلك مزاجها الايرلندي العنيف الذي ورثته. انفجرت تصرخ فيه: «ولكنك أنت لم تخطىء بشيء، أليس كذلك؟ لم يكن على جوليا أن تكون باردة بذلك الشكل. وأنا لم يكن عليّ ان أكون سهلة بذلك الشكل أيضاً، وما كان لجوليا أن ترفض طلبك للمال، وما كان لي أبداً أن أرى الذي رأيته.»

قال بحدة: «هذا صحيح نوعاً ما، فلو لم يحدث أي من هذا، لما فقدت أمي وأبي، وبيتي، وتعليمي الجامعي في جامعة هلبرت ومستقبلاً باهراً.»

قالت بحزن: «أوه.» وذهب تفكيرها إلى منفاه الاجباري وما نتج عنه. وادركت سبب شعوره هذا بالمرارة. لقد فقد كل شيء كان هو وأسرته، يتطلعون إليه بلهفة. فنضال تروتسكي وتضحياته لأجل ولدهما الذكي، لم ينتج شيئاً، وبدلاً من أن يرفعهما من الفقر الذي كانوا يعيشون فيه، قد اغرقهم في الديون والتعاسة.

فردد ساخراً: «نعم، أوه.» ولكن ألماً هائلاً كان يبدو في الخطوط التي كانت تحيط بفمه، وكآبة في عينيه اللتين يطل منهما الإزدراء، لا توصف.

ازدردت غصة صعدت إلى حلقها، ثم قالت: «انني اعرف أن كل ذلك لا بد كان صعباً عليك.»

قال وقد اشتعلت النار في عينيه: «كان صعباً؟ ان شيئاً واحداً فقط هو الذي ابقاني حياً، وهو الانتقام.»

جذبت نفساً عميقاً، لتردد بعده برعب وقد جفت شفتاها: «الانتقام؟ أهو من جوليا؟»

أجاب: «ربما.»

قالت: «لا يمكنك ان تسبب لها أي ضرر حتى انك يجب ألاّ تراها، لقد اخذ منها تمالك توازنها مدة طويلة، فقد انهارت كلياً بعد رحيلك.»

قال يصحح كلامها ساخراً: «بل قد تدبرت أمرها جيداً بوظيفة جميلة في معرض فنون لبعض الأصدقاء في تراكفي في مدينة فلوريدا، هذا إلى شقة مريحة قرب نهر تشارلس.»

قالت: «ولكن... كيف عرفت هذا؟»

أجاب: «لقد تتبعت اثرها. فهي قد انحدرت في طريق سيء، ولم تعد متزنة الفكر.»

قالت: «انا لم اعلم ذلك، فقد فقدت اي اتصال بها، ذلك أن جوليا لم تعد تتكلم معي بعد المحاكمة.» وتساءلت كارولين عن شعور ادوارد وهو يرى المرأة التي كان يحبها قد بدأت تنهار. ولكن الجواب ما كان ليظهر على ملامحه الجامدة وفي صوته الفاتر.

سألته: «ما الذي ستفعله بها؟»

أجاب: «لا شيء في الوقت الحاضر. اظنها الآن تعيش حياة البؤس. ولهذا ساتركها هناك فترة من الزمن.»

قالت: «يا لك من متوحش قاسٍ.»

قال: «انها تستحق الجلد بالسياط، ولكنني اركز على

شيء اكثر اهمية في هذه اللحظة، فقد جئت إلى هنا لأعود إلى العيش مع أمي. متى ستعود؟»

تأوهت ساخطة. انه لا يريد ان يفهم، وعليها أن تكون قاسية... هذا إذا كانت تريده ان يرحل مبتعداً عنهم، وتنفست بعمق، ثم اندفعت تقول: «إذا انت ظهرت أمامها فجأة، فقد تقتلها الصدمة.» وقابلت نظراته بثبات. كانت هذه فرصتها الأخيرة قبل ان تضطر إلى إخباره بالحقيقة كاملة.

واستجمعت كل ما تملك من شجاعة، ثم تابعت تقول: «لقد بلغ من كراهية أمك لك أنها اتلفت كل ما يذكرها بك. كل شيء حتى صورك وأنت طفل. لقد تمنت لو انك لم تولد قط ولم تحمل هي بك...»

تمتم ذاهلاً: «يا للهول.»

فهمست وهي لاتكاد تتمالك نفسها: «اني آسفة، ولكن كان عليّ أن اخبرك بكل ذلك. انني اعتني بها ولا استطيع أن اسمح لك بأن تحطمها بأفكارك عن عودة العيش معاً. فهذا الأمر لن ينجح. لقد سبق وحطمت أنت حياتها فهي لن تصفح عنك أبداً... أبداً ولو بعد مليون عام.»

قال بصوت مرتجف: «كارولين...» وابتدأت هي تبكي بصمت، بينما تابع هو قائلاً: «مازال عليّ أن احاول...»

شعرت بالغثيان، ووضعت يدها على معدتها تضغطها تمنع بذلك نفسها من الركض إلى الحمام لتتقيأ، ثم رفعت إليه وجهها الذي تغسله الدموع وهي تقول: «في هذه الحالة، كنت أتمنى من كل قلبي، وبأي ثمن، ألاّ اخبرك.» كانت تهمس بذلك شاحبة الوجه وقد عادت الدموع تنهمر من عينيها، لتمسحها غاضبة بقفا يدها.

تمتم قائلاً: «لا يمكن أن يكون ثمة اكثر من هذا.»

أجابت برقة وقد امتلأ قلبها بالعطف عليه: «بل يوجد ما هو أكبر، ان أمك جيدة الصحة جسمانياً، ولكنها... انها تعاني من فقدان ذاكرة تقهقري.»

ضاقت عيناه وهو يسألها: «ماذا تعنين بذلك؟»

أجابت: «هذا هو سبب حاجتنا إلى النقود، لأجل الممرضة أليكسا.» وتحشرج صوتها أسى لأجل نفسها ولأجله هو ولضياع احلامه جميعاً. وتابعت تقول: «لقد نسيت أمك مقداراً ضخماً من الماضي. انها تعرف انك قمت بعمل فظيع، وأنك تسببت في اصابتها بنوبات هستيرية لا تستطيع هي السيطرة عليها. هذا هو السبب في أنه ليس بإمكانك أن تعيش في نفس المدينة، لأنك إذا كنت قريباً منها فسيتعين عليها أن تبقى سجينة في هذه الشقة، وليس هذا فقط.» وحوّلت كارولين عينها عن عينيه المذعورتين وهي تتابع قولها: «انها تحتاج إلى مراقبة أربعاً وعشرين ساعة، فهي لا تستطيع تذكر ما إذا كانت تناولت طعامها، أو أن عليها أن تلبس ثيابها أو تخلعها أو موقع غرفتها. انها امرأة عاجزة بحاجة إلى رقابة دائمة يا ادوارد. ان ذهنها من الهشاشة بحيث تحتاج دوماً إلى نظام ثابت وأناس حولها يفهمونها ويحبونها ويتسامحون معها. وهي تردد نفس السؤال، نفس الجملة أو نفس القصة، مرة بعد مرة طوال المساء، انها بحاجة إلى من يصبر عليها. بحاجة إلى حب وعناية، ولكنها ليست بحاجة إليك.»

نظر إليها بجمود عدة ثوانٍ ران اثناءها عليهما الصمت والتوتر. ثم قال: «لقد غرزت السكين في فؤادي ثم لويتها ثم

نزعتها حتى دون أن تتفحصي عما إذا كان هنالك دم.»

قالت: «ولكن عليك أن تعلم، انك انت الذي الجأتني إلى أن اخبرك. لقد كنت احاول ابقاءك بعيداً عن معرفة مبلغ سوء حالتها. فقد كنت أرى انك تتألم بما فيه الكفاية. ولكنك كنت مصراً على ارتكاب خطأ فادح دون اعتبار لأي احد آخر ما عدا نفسك، لا يمكنك القيام بذلك، يا ادوارد. رأيي هو أن مصلحة أمك تأتي أولاً.»

سكتت وهي ترى بقلب يتعذب، مدى تألمه لما سمع. كان ألمه يكاد يقارب ألمها، وقالت: «يا له من كابوس حي.»

رد عليها بعنف: «جربي كابوسي أنا.»

ازدردت ريقها، لا تريد أن يكتسحها الألم لما يعانيه، محاولة تسهيل أمر رحيله عنهم تاركاً كل ما كان يحلم به. قالت: «من حسن الحظ ان ديانا سعيدة الآن. فجدي مولع بها جداً هو أيضاً، فهما غالباً يتسليان معاً بحل الكلمات المتقاطعة في الصحف ويتفرجان على برامج التلفزيون. وهي تساعدني في الطبخ وغسل الخضر. كما تعلمني طبخ بعض انواع الأطعمة في بلدها مما تتذكره. لقد قال طبيبها المعالج أن هذا هو عقلها... فهي تتذكر بعض الأشياء وتنسى البعض الآخر.»

سألها: «وماذا قال عن سبب فقدان الذاكرة هذا؟»

ترددت قليلاً ثم اجابت: «قال انك السبب.»

جمد في مكانه لحظة طويلة، وسكتت هي لكي تدعه يستوعب ماسمع، وأخيراً تمتم قائلاً: «يا له من عبء ثقيل تأخذينه على عاتقك، كان عليك أن تدعيها تذهب إلى أحد الملاجىء.»

نظرت إليه بعجز، ثم قالت بصوت مثقل بالمشاعر، ذلك انها كانت تشعر بنفسها مسؤولة جزئياً عما جرى لأمه: «ابداً. انني مولعة بها. ونحن مسرورتان معاً.»

قال: «لا عجب إذن انك لم تعودي تلك الفتاة الطليقة السعيدة التي سبق وعرفتها.»

شعرت بشفتيها ترتجفان. كانت تريد أن تقول انهما هو وهي، كانا سيكونان سعيدين لو أنه أحبها وحدها بدلاً من أن يشرك بها فتاة أخرى. لو أنه فقط لم يخن حبها الكبير الذي كانت تكنه له، ولكنها قالت بدلاً من ذلك: «اننا جميعاً نكبر في السن، ونحمل المسؤوليات.»

سألها بهدوء: «وما هو التشخيص الطبي لأمي، هل ستشفى ذاكرتها؟»

أجابت: «يقول الطبيب إنه دوماً هناك أمل. ان تكهناته، بصراحة، تشابه تكهناتي أنا. انني اعرف انها احرزت تقدماً ملحوظاً، ولكنني اعرف انها يجب ألاّ تتعرض إلى أي ضغط. ألا ترى، يا ادوارد، انك إذا كنت تحب أمك حقاً، فإن عليك أن تقوم بأشق الأمور عليك وهو الابتعاد عنها؟ انها تحسنت عبر السنوات وقد عاد إليها جزء من ذاكرتها، ولكنها يجب ألاّ تتعرض للانفعال الشديد الذي سينتج عن ظهورك المفاجىء، وخصوصاً أنت الذي...» وسكتت إزاء الشرر الذي تطاير من عينيه، فأكمل كلامها قائلاً: «خصوصاً أنا الذي تسبب في مرضها العقلي هذا. إذن فأنا آخر شخص في العالم ترغب في العيش معه، أليس كذلك؟»

قالت بقلب كسير: «أواه، يا ادوارد.» كانت تحس بجزء

من كيانها يموت في كل مرة تنظر فيها إلى ملامحه الشاردة، وتابعت تقول: «تقبّل فكرة أن الأمر هو غلطة، ادر ظهرك إلى هذه المدينة، ثم تابع حياتك التي أقمتها في البندقية.» واغرورقت عيناها بالدمع وهي تتابع قائلة بوهن بينما قلبها يتعذب: «ارجوك أن ترحل.»

نهض بحركة آلية، وهو يقول بصوت أجش: «لم يكن لدي فكرة، لقد كنت توقعت شيئاً من المعارضة... بعض الدموع... ثم...» واطلق ضحكة قصيرة جافة وهو يتابع قائلاً: «كنت اظن انني سآخذ أمي هذا المساء للعشاء في الخارج احتفالاً بالمناسبة.»

سألته بقلق: «ولكنك رأيت الحالة، أليس كذلك؟»

فحدّق في عينيها طويلاً، ثم قال: «بوضوح تام.» ثم عاد يحدق في عينيها مرة أخرى، ثم حول نظراته بعيداً وهو يقول: «لا تكلفي نفسك عناء الوقوف، بإمكاني الخروج وحدي. أبلغي سلامي إلى جدك.»

لم يكن في صوته سوى تهدج لا يكاد يلحظ، ما جعلها تعجب بقدرته على تمالك شعوره. واجتاحها شعور بالارتياح سرعان ما تبعه شعور بالفراغ، وتملكها الحزن لعلمها أن حياتها لا يمكن أن تكتمل من دونه، وأنها تتألم متشوقة إلى رجل لم يكن يستحق ذلك.

قالت بعدما زال منها الشعور بالقلق لعلمها بقرب رحيله: «يمكنك... يمكنك ان تشاركني الغداء.»

ابتسم بفتور قائلاً: «شكراً لك. كلا. ان الغداء بالنسبة إليّ، ليس عند الظهر بل من الساعة الواحدة حتى الرابعة، وهو يتكون من وجبة كاملة وليس بعض الشطائر، ان الغداء يجب

ان يكون هو الوقت الذي يجلس فيه الانسان مع أسرته.»

ورأت في عينيه الفولاذيتين ما يشبه غطاء يستر مشاعره من الآخرين... لكي يحمي نفسه من ابدائهم العطف، أو الإزدراء. وبدت التعاسة على وجه كارولين بجلاء.

كانت أسرته تتناول دوماً غداءً كاملاً، فيتحدثون معاً بحيوية ونشاط وحنان وتفكير... العديد من المشاعر كانت تعبر عنها ملامحهم وهم يأكلون ويضحكون وقد سادت المحبة بينهم. لقد كانت وجبة الغداء تمثل لديهم واجباً رائعاً، وكانت تحلم بأن تتمثل بهم حين تتزوج وتكوّن أسرة. ذلك ان تناول الوجبات في المنزل كانت دوماً تؤخذ بسرعة بشكل شطائر، وذلك أثناء السير أو امام التلفزيون.

وقالت مفكرة: «الأسرة.»

قال: «نعم، الأسرة.»

أجفلت، ثم نظرت إليه باعتذار، قائلة: «لم ادرك انني كنت افكر بصوت مسموع. انني آسفة، فقد كنت افكر...»

قاطعها قائلاً وقد بدا التوتر على ملامحه: «وكذلك أنا. ان امثال تلك السويعات الذهبية لا تعود ابداً. اشكرك لعنايتك بأمي. إلى اللقاء يا كارولين.»

ولأنه بدا لها بارداً شارداً، ولأنه لم يفعل اكثر من إيماءة مختصرة نحوها بدلاً من بسط يده لها بالتحية، لذلك كله بقيت جالسة. فسلوكه لم يبعث دفئاً أو عطفاً منها نحوه، لقد عاد فتقوقع في صدفته. صدفة الشك والإنطوائية التي تميز بها حين مجيئه أول مرة إلى اورنتي. ولكن الألم اعتصر قلبها وهي تراه وحيداً بهذا الشكل بعد أن فقد كل عزاء في حب الأسرة.

قالت وهي ترتجف وقد امتلأت عيناها الكبيرتان عطفاً:
«وداعاً. هل انت... هل أنت عائد إلى البندقية؟»

قال: «كلا.» ثم سكت لحظة وهو يتأملها مفكراً، ثم تابع يقول: «إلى لوس انجلوس.»

أخذت تنظر إليه وهو يخرج وقد قطبت جبينها بحيرة. لوس انجلوس. آه، قد يكون الأمر مجرد مصادفة. ولكن اصحاب أرض دالبن المهجورة يسكنون هناك. ومشت إلى النافذة وهي تتعثر، بينما جسمها يرتجف. حيث اخذت تنظر إليه وهو يصعد إلى سيارته الفخمة دون أن يلقي نظرة إلى الخلف، بينما أخذ يثبت نظاراته الشمسية الثمينة على أنفه الارستقراطي... وبينما بدا مثالاً للسيد الأنيق الذي لا يشغله شيء في العالم، كانت هي تعلم، من تفاصيل بالغة الدقة في جسمه... في استقامة ظهره، في حركات يديه المتمهلة المتوترة، كانت تعرف من كل هذا انه كان يكبت في نفسه ثورة بالغة العنف لا بد أن تجد متنفساً لها في أقرب وقت.

وسرعان ما تصاعد هدير المحرك، لكي تنطلق بعدها السيارة تاركة عاصفة من الغبار. نعم. لقد كان الأسى يتملكه لأجل أمه، والغضب البالغ لعدم تمكنه من رؤيتها... وكانت هي تفكر في كل هذا بينما كان هو ينعطف بالسيارة بقوة.

كان لا يهتم إلاّ بمآربه الأنانية. فقد قال إنه لن يشتري قصر كولبن فقط، وانما أرض دالبن القديمة المهجورة كذلك. وهذا سيضع نهاية كل أمل لهما، هي وجدها، في بيع الكاراج. ان هذا سيكون انتقامه. وكان ذلك في قبضته. ولم يكن هو من نوع الرجال الذي يفلته. ولكن... ان لوس انجلوس ولاية واسعة، وقد يكون ذاهباً إلى هناك لأجل

توسعة اعماله. ولكن شيئاً في اعماقها كان يحدثها بأنه لن يتخلى عن خطته، وأنه ينوي، في رحلته هذه، ان يقنع اصحاب أرض دالبن ببيعها.

وحدقت في الشارع الفارغ، وقد انتابها شعور مفزع، لم تستطع تجنبه، بأنه سيعود.

في الأيام القليلة التي تلت، جعلها القلق تتلصص من النافذة قبل خروجها من شقتها أو بعد دخولها. وأثناء ذهابها إلى عملها، كانت لا تفتأ تنظر من فوق كتفها طوال الوقت، كأي هارب من العدالة أو كمن اقترف جرماً... وشيئاً فشيئاً، أخذ امتعاضها يتفاقم وهي تشعر بأنها هي البريئة الملتزمة بالقانون، لم تعد تستطيع السير بحرية في مدينتها وموطنها.

وعندما اتصل بها جدها هاتفياً، لم تقل له شيئاً. فقد كان يكفيه هماً أن يعلم أن الكاراج لم يهتم أحد بشرائه. لقد كان ثمة أمل في إمكانية بيعه قبل ان يشتري ادوارد تلك الأرض المهجورة بجانبه. كان أملاً ضئيلاً ولكنه كافٍ لكي يجدد طاقتها في اقناع المستثمر بأن يقيم له دعاية. كانا بحاجة ماسة إلى المال، ولكن الرجال الشرفاء كجدها يجدون صعوبة بالغة في ذلك. حتى إنه كان من الكبرياء بحيث لم يكن يسمح لها بأن تخبر والديها عن مبلغ حاجتهما، وذلك حين اخبرته منذ اسابيع برغبتها في اعلامهما، بالأمر. لقد قال لها حينذاك: «هل انت مجنونة؟ ان هدفي هو أن أبيع الكاراج ثم اشتري منزلاً ذا حديقة اتباهى به أمام أمك وأبيك، فهما يكافحان بشكل غبي في الغربة وأنا أريدهما أن يعودا إلى الوطن في أقرب وقت. ولكن بعد ان نوجد لهما

مكاناً ينزلان فيه. ان لي كرامتي، يا حبيبتي التي تمنعني من طلب معونة من إبني. فالتلامذة في مدرسته احوج منا إلى المعونة. ليس مدهشاً أن تكوني انت بهذه الطبيعة المحبة للمساعدة مادام والداك يدفعان آخر قرش لديهما للفقراء وينفقان ثمن تذاكر العودة إلى الوطن، على شراء احذية وألعاب للاطفال.»

لقد ابتسمت كارولين بعطف وهي تحتضن جدها لأنها كانت تعرف أنه كان سيفعل نفس الشيء لو أنه كان مكانهما. وقالت له بحرارة: «وأنت أيضاً كذلك. انني احبك، وسنكون بخير. إنني متأكدة من ذلك.»

ولكنها قلقة الآن. ذلك أن بامكان ادوارد أن يجعل حياتهما صعبة إذا هو اصر على رؤية أمه. وعندما اقبل نهار الجمعة كانت قد ابتدأت تأمل أنه كان يخدعها، وأنه ليس باستطاعته مواجهة هذا اللقاء المؤلم. وربما قد ألغى مساعيه لشراء قصر كولبن. ولم تجرؤ على السؤال. فقد كانت تخشى ان يكون الجواب انه سينتقل إلى المنزل في الأسبوع القادم.

بعد أن ارتدت ثوبها الأصفر، وقامت بأعمالها المنزلية، خرجت من الشقة لتقفز إلى سيارتها. وفكرت عابسة في أنه يوم عمل آخر. ولكن وجهها مالبث أن اشرق وهي تتذكر أنها استطاعت اقناع آدم سولتري، وهو فتى مراهق كان قد تسبب منذ فترة بكثير من المتاعب، استطاعت اقناعه بقبول بعض الروايات التي كانت اشترتها من إحدى المكتبات بسعر مخفضٍ، وفكرت في أنه مازال ثمة أمل في اصلاحه. وابتدأت تغني بابتهاج وقد ارتفعت معنوياتها.

كان آدم قد سبق وعانى الكثير من المتاعب بعضها مع أخيه الأكبر المتلاف، كلارك، سائراً على خطى والده، وأمه المهملة. وكانت هذه قد روّعت جيرانها آل تروتسكي بحياتها المستهترة ولم يكن امام آدم سوى قليل من الحظ في العيش باستقامة، ولكنه أخذ في النهاية يناضل جاهداً في سبيل ذلك، ما اثلج قلبها سروراً.

فكرت في أن الحياة ليست بالغة السوء في الواقع. فالناس يحبونها. وتغلب التفاؤل على مخاوفها وهي تحدث نفسها بأن بامكانها مواجهة المتاعب. فما دامت قد استطاعت مواجهة قتل حبيبها لأختها فيرا وطفلها، فإن باستطاعتها مواجهة أي شيء آخر.

وظهر مبنى مدرستها المنخفض إلى يسارها، فأوقفت سيارتها في الموقف المخصص لذلك، وهي تحيي تلاميذها حولها اثناء دخولها المبنى بحماس متوجهة نحو باب المكتب.

قال لها سكرتيرها الجديد: «تبدين مرحة متألقة.» ورمق ثوبها الأصفر بعدم رضى واضح.

فقالت له برفق: «انه الصيف حيث القوانين ترتاح جانباً، فكل الطلاب يرتدون البنطال والقمصان المقفولة. وأنا لست معلمة، فعليّ ان اتقرب اليهم.» وبقيت محتفظة بابتسامتها، وقد تذكرت آراءها المتزمتة بالنسبة إلى مكان العمل. وشعرت بالأسى لتزمته هذا وقالت له: «انني جاهزة للعمل. هل لك بأن تدخل عليّ كل قادم؟»

وفتحت باب المكتب بابتهاج، ثم اقفلته في وجهه المتوتر، شاعرة بالسرور كعادتها كلما دخلت غرفتها

الخاصة بدلاً من المكتب الجاف. فقد كانت جاهدت كثيراً في أن تحصل على غرفة خاصة تتمكن فيها من تبادل الحديث على انفراد مع الطلاب حيث يشعرون بجو البيت الدافىء. وازاحت بعض الملفات جانباً، ثم أخذت تنسق الورود التي كانت اشترتها من متجر الزهور بعد خروجها أمس من المدرسة.

وفتح الباب، فاستدارت وعلى فمها ابتسامة ترحيب متوقعة رؤية تلميذ بحاجة اليها.

قال ادوارد: «لقد قيل لي أن ادخل، فدخلت.»

الفصل السادس

تمالكت كارولين اعصابها. ونظرت بهدوء إلى وجه ادوارد الساخر وقالت: «بما أن مزاجك يبدو هادئاً، فمن الأفضل ان تطيعني وتخرج من هنا.» لم يكن يبدو عليه أي أسى، بل كان الارتياح والهدوء يبدوان على ملامحه وكأن الدنيا بألف خير، وتابعت تقول: «ليس لديّ وقت للجدل.»

تنهد بشكل مسرحي وقال: «ها أنت ذي تقفزين إلى الاستنتاجات مرة أخرى دون أية شواهد.»

ذعرت كارولين ولكنها كانت اكثر ذعراً وهي ترى ملابسه. كان يرتدي بذلة رمادية ـ فضية مخططة بأقلام وردية دقيقة، إلى قميص وردي مع ربطة عنق ذات لون رمادي فاتح. من غير الممكن أن يرتدي أي شخص في العالم مثل هذه الملابس. وقال: «لقد كنت اتحدث إلى سكرتيرك ذي المبادىء وقد ارسلني اليك للمشورة.»

رفعت حاجبيها ساخرة: «ان ثقته بي هو إطراء يسرني. ولكن حالتك هي فوق مقدرتي.»

قال معترفاً: «ربما أنا كذلك حقاً.» وابتسم لها هازلاً وهو يتابع: «بالمناسبة، لقد أثار استغرابي ان أرى بابك مغطى بصور الهررة، ان ذلك لا يبدو له علاقة بمهنتك مطلقاً.»

أجابت: «بالعكس، فهذا يظهر مدى مودتي ودفء عواطفي، رغم ان ذلك موجه فقط نحو أولئك الذين

يستحقون ذلك.» قالت ذلك في حالة إساءته فهم ما تقصد ولأن سخريته من مهنتها قد جرحت كبرياءها. ثم قالت مفسرة ما حدث: «لقد قص الطلاب هذه الصور من المجلات لكي يدخلوا السلوى إلى نفسي بعد أن ماتت هرتي، كما أن واحداً منهم وضع صورته بينها. ان ذلك نوع من تطور الأمور وتشعبها.»

أومأ برأسه قائلاً برصانة بالغة دون أن تعبر عيناه عن شيء: «ان الأمور تحدث بهذا الشكل احياناً، إذ تكبر وتتشعب حتى ان الناس ينسون كيف ابتدأت، وما تزال تكبر وتكبر حتى تغطي ما كان يجب أن...»

قاطعته قائلة وهي تعلم تماماً ما يقصد: «اتريدني ان ابدّد وقتي في احاديث كهذه؟ انني مشغولة جداً.»

قال: «لقد مدحك سكرتيرك كثيراً.» كان ادوارد يتحدث وهو يمعن النظر في لوحة تحوي صور طلاب سابقين لها كانوا ارسلوها إليها من سائر أنحاء العالم، ثم انتقل إلى جدار تغطيه البطاقات البريدية تماماً. فالتقط واحدة منها أخذ يقرأها ثم اعادها إلى مكانها بينما كانت هي تختلس النظر إليه معجبة به، إلى ان التفت إليها فجأة فرأى نظراتها تلك فابتسم قائلاً: «ان لك معجبين.»

قالت رافعة الرأس: «انني احب الطلاب يا ادوارد كما أنهم يحبونني هم أيضاً.»

قال ببساطة: «يبدو ذلك. لقد اوجدت لنفسك سمعة طيبة. ان أعين الناس تتألق عند ذكر اسمك.»

قالت وهي تتساءل عن السبب الذي يجعله يذكر اسمها للآخرين، قالت: «هذا حسن.»

قال بلطف: «فعلاً، وأنا اعتمد على كون الناس يكنون لك التقدير والاحترام.»

ألقت عليه من تحت اهدابها نظرة قلقة وسألته: «ولماذا؟»

أجاب وهو يجلس على حافة مكتبها: «ان لدي عدداً من أبناء عمومتي المراهقين منتشرين في الولايات، بعضهم يتعلم والبعض الآخر يتدرب على مهن مختلفة.»

قالت متظاهرة بعدم المبالاة وهي تجذب بعض الملفات والأوراق تدعي دراستها، ولكنها في داخلها، كانت تتحرق فضولاً لمعرفة ما يعتزم عمله: «هذا حسن.»

قال ببساطة: «انني اريد ان اساعدهم في تعلم تجارة السيارات من اسفل السلم. وعندما افتح مزيداً من الفروع، يمكنهم ان يتدربوا على الإدارة.»

قالت بجفاء: «ان هذه محاباة.» ولكنها كانت تشعر بالتوتر، مزيداً من الفروع؟ كيف؟ وأين؟ أخذت تفكر بذلك وقد انتابها الضيق.

قال وهو يهز كتفيه: «سمي ذلك بما تشائين. اننا في البندقية يساند بعضنا بعضاً، ويهتم الواحد منا بنجاح الآخر. لماذا نمنح عملاً لرجل غريب في الوقت الذي يكون في اسرتنا شخص بمثل كفاءته؟» فقالت غير واثقة من شعورها: «انها طريقة غريبة في النظر إلى الأمور، اظنك بهذا، تخرق عدة قوانين...»

قاطعها قائلاً: «انني ادير عملاً عائلياً. وهذا يعني توظيف الأقارب. فالوضع الآن هو كما يلي، لقد نشأ ابناء عمومتي، والذين هم في سن الدراسة، في بيئة فقيرة...»

قالت بلهجة مؤنبة: «آه، انك إذن لم تساعدهم بوضع يدك في جيبك.»

قال بلهجة متوترة: «إياك أن تشكي يوماً في مبلغ وفائي وعطفي على اقربائي. وليكن في ذهنك دوماً أن ابن البندقية لا يمكن ان يقبل الصدقة، انهم اناس شرفاء.»

فلم تجرؤ إزاء نظرته الصاعقة، على أن تنطق بأي تعليق على قوله هذا، ولكنها تمنت لو يفهم من عينيها انها لا تظنه من هذه الفئة، وعاد يقول: «ان أبناء بلدي الذين تقدموا مني أو من شركتي بطلب عمل، قد نالوا ما يريدون، أو نالوا منحاً للدراسة، هل ارضاك هذا؟»

قالت عابسة: «لا أدري لماذا تخبرني بهذا كله.» وغاظها أن رأته يعيد فحص سجلات الكلية التي سبق وأنهتها.

قال: «جئت لأرى المدرسة هنا حيث أن بعضهم سيلتحق بها، وكذلك لأقابل المشرفة الاجتماعية فيها، ذلك ان سعادتهم تهمني.»

صرخت ذاهلة: «هنا؟ في كلية اورنتي العليا؟» وتحركت ذراعها بشكل لا ارادي كادت معه تصطدم بإناء الزهور. ولكن ادوارد أمسك بالزهور ثم نقلها إلى مكان اكثر أمناً. وكان هو نفسه، ليس على مسافة آمنة منها، فقد كان متكئاً بثقله على ذراعه مائلاً نحوها، بينما هي ابتعدت عنه مائلة بظهرها نحو مسند الكرسي.

أجاب قائلاً: «ان كلية اورنتي العليا بجوار منزلي وبهذا يمكنني ان اضعهم دوماً تحت المراقبة. لقد وعدت امهاتهم بذلك.»

رددت وهي ترتجف: «بجوار... بجوار منزلك؟»

تمتم قائلاً: «هل هذا يسرع بخفقان قلبك؟ هل يزعجك كوني مصمم على تنفيذ خططي كما أشاء، لقد أخذ تكوين ثروتي مني وقتاً طويلاً. وسأضرب هذه المدينة كالإعصار. وسأحصل على رخصة لكل ما اخطط لعمله، الكاراج، محطة الغاز، وكل شيء.»

سألته: «هل... هل رأيت اصحاب أرض دالبن إذن؟» لقد شعرت بقلبها يغوص كما تلاشت كل آمالها في أن يحصل جدها على تقاعد مريح في شيخوخته.

أجاب: «طبعاً، لا اظنك كنت تشكين في هذا، أليس كذلك؟»

هزت رأسها بصمت. مهما كان الأمر، فقد كان الشك يساورها في أن يمسك اعضاء مجلس المدينة بقضية سجن ادوارد ضده، فقد كان قضى المدة المحكوم بها، كما كانت القضية لا تعدو أن تكون حادث سيارة... ومع ذلك...

قالت بكبرياء: «ان اعضاء مجلس المدينة يعرفون جدي منذ سنوات. وهو محبوب في المدينة، فإذا كان ثمة اجتماع لمجلس المدينة، فسيسندونه ويفضلونه عليك. وأهالي اورنتي سيفكرون مرتين قبل أن...»

قاطعها قائلاً: «لقد سبق وتحدثت إلى كل واحد من أعضاء المجلس بدون استثناء، وقد عبسوا وهزوا رؤوسهم عندما طرحت فكرتي عليهم. وهكذا اخبرتهم بأنني كنت مواطناً هنا، وعرضت خططي، وتحدثت عن التحسينات والإزدهار وتنظيف ذلك القسم من المدينة.»

سألته غاضبة: «ثم؟»

أجاب بتواضع: «العديد منهم تأثروا ببلاغتي.»

فكرت في أنها هي أيضاً كانت ستتأثر مثلهم. وعادت تسأله: «والآخرون؟»

أجاب: «كانت لديهم تحفظات. لهذا قدمت إليهم شيئاً.»

قالت بازدراء: «لا تقل انهم أخذوا منك رشوة، انه لا يحدث واحد بالمليون...»

قال برزانة: «حوالي المليون، لقد عرضت عليهم إنشاء مركز للاحداث، فكان ترحيبهم بذلك بالغاً.»

ابتسم بمكر وهو يتابع: «الموضوع سيبحث في اجتماع مجلس المدينة، وأنا متأكد من انهم سيجيزونه، ومن ثم يصبح الطريق أمامي سهلاً لانشاء الكاراج المتطور. وبالمناسبة، لقد كان حماس سكرتيرك المثالي كبيراً لفكرة مركز الأحداث. وقد أرسل يطلب صنع كوبين من الكاكاو احتفالاً بالمناسبة، كذلك قال ان البهجة ستتملكك عندما تعلمين أن الأحداث سيكون لهم مركز ينفسون فيه طاقاتهم ويشغلهم في الأماسي. انك مبتهجة، أليس كذلك؟» ومنحها ابتسامة عذبة.

تمتمت قائلة: «الويل لك، أيها الغادر...»

قاطعها بصوت متألم: «إحذري، عليك ألاّ تضايقي الرجل الكريم. عليك أن تفكري في سعادة الأحداث في هذا المجتمع. انهم سيصابون بالذعر عندما يعلمون أنك تعارضين هذه الفرصة التي سنحت ليكون لهم مركز للأحداث. ان اسمك سيتلطخ بالوحل، أليس كذلك؟»

أغمضت عينيها تخفي بذلك دموعها. إنه باقٍ هنا. وسيحيل حياتها وحياة جدها وديانا إلى عذاب.

نظر إليها طويلاً ثم قال: «إياك أن تفكري بالاعتراض

حتى تدركي ماذا سيحدث لو انك أبديت أية معارضة لي. فإذا أنت لم تفعلي ما سأقوله لك، أو إذا أنا وجدت أية صعوبة في تطوير خرائب دالبن... فسأبيعها إلى منافس لجدك في مهنة الكاراجات، فيبقى الدمار لاحقاً بجدك. هذا هو نوع عدالتي. إذا أنا خسرت، فستخسرين أنت وجدك. وستكون هذه هي الضربة الأولى لي.»

دمار جدها؟ وصرفت بأسنانها غضباً وهي تسأله: «والضربة الثانية؟» وكان يبدو عليها الهدوء بشكل غريب. نفس الهدوء الذي واجهت به كلارك سولتري عندما هددها بالسكين إذا هي لم تكف عن دعم التفاؤل في نفس أخيه آدم.

ومض في ملامح ادوارد بريق الإعجاب. وقال بهدوء: «ان اعتمادي سيكون على فعالية ثرثرة سكان هذه المدينة الصغيرة. ويزيدها قليلاً عدم انكاري أياً من تلك الشائعات عن علاقتنا الماضية. لقد نشأ الكثير منها في ذلك الوقت، وذاكرة الناس قوية.»

قالت بذعر: «انك لن تفعل هذا.» لقد نشأت الشائعات بعد اتهام ادوارد، عندما أخذ الناس يتحدثون عن مغامراته العاطفية مضيفين إلى ذلك زخارف من صنعهم. وانكمشت هلعاً وهي تتذكر تلك الشائعات وهمسات الطلاب الذين تجمعوا حول جوليا يتحدثون عن لهوها المزعوم في المدرسة هي وادوارد... وتوهج وجهها وهي ترى الإبتسامة التي لاحت على وجهه وكأنه كان يفكر بنفس ما تفكر هي فيه، وعن سائر الشائعات المعيبة التي تناولت علاقتهما.

قالت بعنف: «أكاذيب.»

قال بهدوء: «لقد اطلقتها جوليا. فهي تحب الكذب. واتمنى ان تكتشفي هذا، كما أتمنى كذلك أن لا تعود إلى الظهور بعض تلك القصص البذيئة فهي ستضرك في وظيفتك.»

قالت: «انك تعلم أننا لم نفعل تلك الأشياء، ربما كان بيننا عواطف ولكن...» وسكتت، فقد تلاحقت الصور في ذهنها، ولمعت عيناه وكأن الذكريات الحقيقية قد اثرت في نفسه كما أثرت في نفسها، تلك الذكريات... عواطفهما، حبهما، ضحكاتهما... وتأوهت بألم وهي تتذكر حبهما، ومرحهما معاً.

قال بصوت خشن: «انك إذن تريدين أن تنسي ما كنا فيه معاً.»

قالت بحماس وعيناها تتألقان: «نعم. لقد كانت تلك فترة من حياتي لا اريدها أن تتكرر. ان كل انسان يقوم بعمل يخجل منه في ما بعد. ان السلوك...» وعضت على شفتها فأكمل عنها قائلاً: «السلوك غير المنضبط؟ ولكن المشاعر التي كانت تجمعنا معاً كانت قوية جداً...»

نعم، نعم، ما كان اقواها... وشعرت برغبة في البكاء، ولكنها، بدلاً من ذلك، ابتلعت ما شعرت به في فمها من مرارة وهي تقول: «لقد قادتنا إلى تلك التجربة مشاعر الوحش فينا.»

لاحت على شفتيه ابتسامة جذابة، وهو يقول بنعومة: «ربما عليّ انا أيضاً ان انسى ما كان بيننا وذلك حفظاً لسلامتي العقلية. ولكن اعلمي جيداً يا كارولين، انني إذا

اضطررت، فلن اكذب أية شائعة. ان هذا لا يتلاءم مع اهدافي.»

قالت وهي ترتجف: «هذه وحشية. لقد كنت اظنك شريفاً بالنسبة إلى النساء.»

تساءلت بعجز عما إذا كان مايزال هنالك المزيد، ثم قالت له ببرود: «اخبرني إذن عن الضربة الثالثة في هذا الإبتزاز.»

أجفل وبات العنف على ملامحه وهو يجيب: «من الطبيعي أن يتعلق هذا الأمر بأمي. فمهما حدث لي، وإلى أي مكان ذهبت، فلا بد لي من رؤيتها. فليس بامكانك أن تبقيها سجينة بقية حياتها. وأنا سأنتظر اللحظة المناسبة، ولو استغرق الأمر سنوات، لكي اختطفها وآخذها لكي تعيش معي. لأنني إذا صممت على أمر فلن يستطيع شيء أن يحول بيني وبينه. لا شيء.»

قالت: «أيها الحيوان. إنك ستقود أمك إلى النهاية...»

قال ببطء: «إذا أنا فعلت هذا فالذنب عندئذ سيكون ذنبك، لأن بامكانك أن تمنعي اختطافها بكل سهولة.»

هذه هي المسألة إذن، إنه يريد إذلالها بخطته القاسية تلك. وقالت: «تابع.»

قال: «انني اريد ان يعود إليّ حب أمي كما أريد أن أعيش هنا. ولن أنال ما أريد إلا بواسطتك. ان بامكانك أن تجعلي ذلك يحدث. انك تعرفين كيف تتحدثين إلى الناس. بامكانك أن تحمليهم على السلوك الحسن وعلى النظر إلى الأمور باتزان. فالناس معجبون بك ويحترمونك وهم يقدرون احكامك. وأنا أريدك أن تستخدمي مواهبك هذه لأجلي.

اريدك أن تعملي قلبك وعقلك في إقناع كل شخص بأنني رجل كفء مناسب، وموضع ثقة ويتفجر بالنوايا الشريفة.»

قالت بازدراء: «انك تطلب ما يصعب علي فعله. فإذا كنت تظن انني سأكذب...»

قاطعها يكمل كلامه قائلاً: «وهكذا شيئاً فشيئاً، سأستعيد احترام الناس الذي فقدت. انك ستساهمين بذلك بطريقة فريدة وبهذا تعود إليّ كرامتي...»

قالت بلهجة لاذعة: «وكيف ستكون مساهمتي هذه في سبيل سعادتك؟»

اطلق ضحكة قصيرة حاقدة جمدت الدم في عروقها، ثم أجاب: «بأن تقعي في غرامي.»

فتحت فمها ذاهلة إزاء الضغينة البادية على وجهه، ومن ثم انتابها ذلك الشعور المألوف بالفراغ في داخلها، ذلك أنها لم تفقد قط حبها له، فقد بقي عنيفاً مدمراً كما كان، ولكن عليها أن تبقيه مدفوناً في قلبها لخيرها هي.

وما ان سحبت نفساً عميقاً، وهي تتهيأ لإظهار ازدرائها له، حتى سمعت الباب يفتح، ورأت عيني ادوارد تقولان انه قد سمع الصوت هو ايضاً. ثم إذا به يميل إليها ويتظاهر وكأنه يكلمها همساً.

وجاءهما صوت السكرتير يقول باستهجان: «آه! أرجو المعذرة.» ثم سمعت صوت الباب وقد أغلق بعنف.

تمتمت وهي تقذفه بعنف بقطعة رخامية على هيئة قطة صغيرة بجانبها: «أيها الجرذ الحقير.»

ولكنه تلقى القطعة الرخامية بيديه ثم اعادها إلى مكانها على مكتبها بحذر وهو يضحك بانتصار وقد بدت في عينيه

نظرة رضى وقال: «ها قد ابتدأت ثرثرة الناس. ابتدأت من هنا.»

حملقت فيه فزعة وهي ترى هذا المنتقم الحاقد يدمر حياتها الغالية بقصد تحطيم قلبها. ثم قالت كاذبة لكي تنجو بنفسها: «لا يمكنني الوقوع في حبك يا ادوارد. حتى ولو كانت حياتي ستقوم على ذلك.»

قال متهمكاً: «آه، ان ذلك سيكون ادعاءً فقط، وها نحن الآن قد غرسنا بذور علاقتنا.»

سألته ساخطة: ماذا تعني؟»

أجاب: «أولاً، مزاحنا عند الكاراج بينما كان الطلاب ينظرون إلينا. ومسألة الآيس كريم انني ساطالبك يوماً ما، بوعدك في أن تسكبي شيئاً منه عليّ.»

شهقت قائلة وقد احمر وجهها: «انني لم اقل ذلك.»

قال: «إنه شيء اشعر بتشوق لتجربته، ومع ذلك اظن ان هذا لا يستلزم أن يصدر عنك بالذات.»

قالت وقد اغضبها أن ترى أن الغيرة جعلتها تجفل بشكل واضح: «انه لن يصدر عني.»

قال بنعومة: «حسناً، علينا أن نبقى متوهمين انك تفضلين هذا على أي شيء آخر. لقد كنا حبيبين ذات يوم، فما الذي يمنع ان نعود حبيبين مرة أخرى؟ ان الناس هنا سيتحدثون ويتساءلون على كل حال، متوقعين ان تحدث بيننا ألعاب نارية.»

كان ذلك في منتهى القسوة. وضغطت بأصابعها على صدغيها حيث اخذ نبضها يرتفع، وتخيلت نفسها وهما يعودان حبيبين من جديد...

وابتدأت تقول بوحشية: «انني سأعرف كيف اسكت الناس إذا ابتدأوا يتحدثون عنا... وسأضع حداً لكل صلة بيننا، نحن الاثنين...»

قال بهدوء: «لا اظنك ستقومين بذلك، انني اشك في أن هذا ما تريدين.»

سألته بعنف: «ماذا... ماذا تعني؟»

وتساءلت بخشية عما إذا كان قد اكتشف مشاعرها نحوه أو أنه قد علم بشيء. لقد كرهته لأنها كانت تحبه وكانت تعلم أن حبها له يعني جنوناً بل انتحاراً.

وكان يتأمل في عينيها مفكراً، وفي نظراته تلك انهيارها. كانت تريد الإدعاء، تحن إلى ان تنفس عن مشاعرها، أن تطلقها من عقالها ما قد يجعلها تتحرر منها مع الزمن. وبدت في عينيها الواسعتي الرقة والشوق، بينما كان هو يبتسم قائلاً بقسوة: «ان بامكاني ان ادمر جدك، بامكاني ان ادمرك انت وذلك بطرق متعددة. ان علينا أن نجعل لمنظرنا ذاك ونحن نتهامس مبرراً شرعياً، وإلا فإن الهمس سيتصاعد عن انك تصادقين الرجال في مكتبك.»

قالت باحتجاج: «كلا، يا ادوارد... كلا... لن ادع الناس يظنون انني...»

قال ببطء: «ليس هذا ما عنيته بكلامي، ان علاقتنا ستكون فوق الشبهات، انها يجب أن تكون من أعلى مستوى.»

فكرت بمرارة في أنه يا ليته فقط... وقالت له: «لماذا تريد أن تكون علاقتنا شريفة خالصة؟ ان هذه ليست من صفاتك أبداً.»

قال: «مازلت لم تفهمي قصدي. ان علاقتي الوثيقة بك

ستزيل كل العقبات التي وضعها الناس امامي. لأنك إذا كنت أنت، شقيقة تلك المرأة التي قتلت في صدام بين سيارتها وسيارتي، قد امكنك الصفح والنسيان إلى درجة قبولك بي زوجاً، فبالأحرى أن ينسوا هم أيضاً ويعاملوني كانسان طبيعي سوي.»

حملقت به شاعرة بقلبها يتمزق، وقالت وهي ترتجف: «زوجتك...؟» وازدردت ريقها بارتباك فأجاب: «لا تنسي أن هذا سيكون ادعاء فقط، فنحن لن نستمر به إلى النهاية.»

قالت بضعف وعيناها تنضحان ألماً: «بامكانك أن تثق تماماً أن هذا لن يحدث.»

قال: «سينظرون إليّ، عند ذاك، كانسان مهذب جاد احاول جهدي تنقية اسمي وستساندينني انت في هذا...»

صرخت رافضة أن تشاركه في تنفيذ هذه الخطة المريعة: «كلا... أبداً.»

قال بهدوء: «بل ستفعلين، وسيكون ذلك تدريجياً بحيث يستغرق فترة من الوقت، بحيث تجعلين أمي تعتاد فكرة انني سأبقى هنا وأنها كانت مخطئة بالنسبة إليّ. إن بامكانك أنت فقط القيام بذلك ولا أحد سواك، لأنها تثق بك وكانت دوماً تحبك.» كان يقول ذلك برقة مدهشة، ثم تابع يقول: «وستحاولين اقناعها، بكل لطف، بأنك تحبينني، وأنه يسعدك جداً أن ترينا وقد عاد الوفاق بيننا.»

فهمست بذعر: «كلا، كلا، لا يمكنني ان اكذب عليها.»

قال مستفهماً: «اتقولين كذب؟»

فهتفت بضعف وهي تهز رأسها: «أرجوك يا ادوارد.»

فتابع قائلاً: «اخبريها عن البهجة والمرح اللذين كانا

يشملاننا معاً. وكيف كنا نضحك سوياً والسعادة تغمرنا، وأنك تشعرين أنني أروع شاب... ماذا جرى يا كارولين؟» ألقى إليها بهذا السؤال بصوت خفيض مرتجف النبرات فتمتمت تجيب بتعاسة وأسى واضحين: «انك تعلم ان ليس بامكاني القيام بذلك معك، فتلك الأيام قد ولّت منذ زمن طويل!»

أجاب: «لا أظن لديك خياراً في الأمر. وبطبيعة الحال، سيكون من أولى اهتماماتك أن تتمكني من تغيير رأي أمي بأسرع ما يمكن، وسنبقى مخطوبين إلى أن تأتي هي للعيش معي، وعندما تستقر، يمكننا فسخ الخطبة ونبقى، ظاهرياً، صديقين. ما رأيك بهذا؟»

أجابت: «هذا فظيع.» واحمر وجهها عندما ضحك، فتابعت تقول شاكية: «إذا أنا وافقت، فستنال أنت كل شيء، حنان أمك، قصر كولبن، قبول المدينة لك وأرض دالبن. اما أنا فلن احصل على شيء.»

قال: «انني، عند ذاك، سأتدبر أمر بيعكما الكاراج بثمن جيد، وسيكون بامكان جدك ان يتقاعد في الوقت المناسب وستعيشين أنت في مسكن أفضل. ولن تنقطعي عن رؤية أمي التي ستكون في غاية السعادة، انني اعدك بذلك. وسيكون بإمكان تلاميذك أن يحصلوا على مركز للأحداث، ان كل هذا ليس سيئاً باعتبار البديل في حالة عدم موافقتك.»

استندت إلى الخلف شاعرة بالضعف والهزيمة، ان عليها إما أن تساعده، وإما أن تتألم من العاقبة. وفي كلتا الحالتين ستكون الحياة غير محتملة، وقالت: «لا أستطيع.»

قال بهدوء: «ان جدك ضعيف سهل العطب، فقد تحدثت

إلى عمالكم. انه يقتل نفسه بالقلق وكثرة العمل بالنسبة إلى سنه، وذلك لكي يوفر لك ولديانا النفقات المتصاعدة على الدوام. إنه يموت شيئاً فشيئاً يا كارولين. ويمكنك أن تمنعي ذلك إذا كنت تحبينه حقاً.»

فهمست بألم، وهي تفكر في جدها الشجاع: «طبعاً أنا أحبه. إنني... إنني لا أدري إذا كنت استطيع الإدعاء بأنني أحبك.» نعم، كيف تستطيع الإدعاء حين يكون الأمر حقيقة؟ كيف تستطيع أن تمتنع عنه، وتمنعه من أن يستعملها كأداة ليحقق بها خطته.

قال: «كارولين، ان بإمكاننا أن نخدع الكثيرين بمظاهر الحب المصطنعة. اننا، نحن الاثنين نريد ان ننتهي إلى حل سريع لكل هذا. فلنتابع قدماً إذن، ولننظر إلى الأمر وكأنه مجرد لهو.»

«لهو...» وقطع عليها طرق على الباب، ما كانت تهم بأن تقذفه به من سباب. وأجابت بارتياح: «أدخل.»

وفتح الباب ببطء ليبدو آدم سولتري الذي وقف على العتبة حائراً لا يدري ان كان يدخل أم لا.

قالت له بحرارة: «مرحباً يا آدم. لقد احضرت لك الكتب التي وعدتك بها، أدخل وساعدني على النظر فيها. أقدم إليك ادوارد.»

فقال متحمساً بشكل مفاجيء: «نعم، إنه الشاب صاحب سيارة الرولز رويس.» ومد يده يصافحه قائلاً: «صباح الخير يا سيدي.»

وأخذت كارولين تفتش عن كتب آدم بينما أخذ هو وادوارد يتحدثان عن ازدحام مواقف السيارات. بينما كان

ذهنها شارداً عن معظم حديثهما، وكان ادوارد لطيفاً مع آدم فلم ينتقده أو يظهر استهجانه وهذا يتباهى أمامه بالسرعة التي يسير بها في سيارته الخاصة. كان حديثاً بين شخصين متماثلين. وتظاهرت، لبعض الوقت، بأنها لا تجد الكتب، لأن آدم كان منفتحاً يبدو عليه الارتياح والهدوء ما جعله يبدو طبيعياً. وفكرت كارولين بأنه فتى طيب السريرة حقاً.

«يا له من مكان دافىء مريح.»

فالتفتت بعنف لدى سماعها صوت كلارك سولتري الأجش، فقالت بسرور: «مرحباً يا كلارك.» وكان يقف خلفه روي فروست وهو فتى في الواحدة والعشرين من عمره، وعاطل عن العمل مثل كلارك، ولكنه بالغ الخبث. وكانت هي تتابع قائلة: «لقد وصل آدم لتوه و...» فنظر كلارك إلى آدم عابساً ثم قال: «لقد سبق وقلت لك أن تبقى بعيداً عن هذه الاصلاحية الـ...» ونطق بكلمة بذيئة جعلت كارولين تشهق كما شهق كلارك نفسه وأخذ يجاهد في سبيل التنفس وهو يرى نفسه يرتفع عن الأرض بيدي ادوارد الذي بلغ به السخط حداً لا يصدق وهو يقول: «اعتذر للسيدة حالاً ثم اخرج من هنا، قبل ان افصل فمك عن وجهك.»

فقال آدم ضارعاً: «أتركه وشأنه.»

وقال روي بصوت قصير حاد: «آسف.» وساد الهرج والمرج عندما حاول روي التقدم إلى الداخل، ولكن ضخامة جسم ادوارد وقوته دفعتا الشابين بعيداً مجتازين مكتب الموظفين حتى لم تعد تسمع سوى صوت انصفاق

الأبواب، والأصوات العالية، ثم انسحاق الحصى تحت عجلات السيارة.

أما آدم فقد ركض هارباً بينما تأوهت كارولين، إنه لن يجرؤ أبداً على التحدث إليها مرة أخرى. وعندما عاد ادوارد إلى المكتب، نظرت إليه عابسة. كان ينفض يديه دون أن يبدو عليه أي أثر لعراك، وهذا كان شيئاً غير عادي بالنسبة لأي شخص يشتبك مع كلارك وروي.

تمتمت ساخرة: «اشكرك كثيراً.»

سألها بدهشة: «الا يعجبك توفر الحماية لك؟»

أجابت: «كان بامكاني التصرف.»

قال: «أنا واثق بمقدرتك على ذلك، ولكن ليس باستطاعتي الوقوف جانباً والتفرج عندما يهينك شخص ما.»

خفضت نظراتها شاعرة بالرضى والأنوثة. كان هذا تصرفاً طيباً منه في الواقع، اظهر جانباً حسناً من شخصيته. وسألته: «أليس باستطاعتك ذلك؟»

أجاب: «كلا. كيف يبدو الأمر إذا لم يدافع عنك حبيبك؟ عليك أن تفكري بهذه الأشياء يا كارولين.»

قالت بغضب: «آه، يا لك من حيوان.» واختفت هذه الكلمة الأخيرة في حلقها وهو يسكتها قائلاً: «تكلمي بهدوء. لا اريدهم أن يظنوا اننا نتخاصم. تذكري انك شاكرة لي لدفاعي عن شرفك.» وابتسم بمكر وهو يتابع: «انك لم تفكري في انني انما قمت بذلك لتقديري لك، أليس كذلك؟ أليس هذا دليلاً على تقدير الرجل لك؟»

أخذت تهمهم بكلمات مبهمة وبصوت منخفض، فقال وهو

لا يخفي رضاءه عن نفسه: «ساتركك عندما تهدئين وعندما توافقين على شروطي. انني اريد عونك القلبي في هذا الأمر. علينا أن نتصرف كحبيبين، فمن الطبيعي إذن أن تبدر عنا بعض العواطف، انما غير مبالغ فيها. فأنا أريد سمعة حسنة، ومن هنا سيبتسم لنا الجميع. وستتنازلين عن بعض صفاتك العالية معي، فإذا كنت موافقة، قولي أجل.»

فالتمعت عيناها المتمردتان، كحد السيف ما جعله يضحك، وزادت خفقات قلبها. قد يدخل أحد الآن، ففي مثل هذا الوقت فصاعداً يصبح مكتبها، عادة، كخلية نحل، حسناً، فلتتخلص منه الآن، ويمكنها في ما بعد ان تتراجع وترفض...

وهكذا لم تستطع أن ترفض، ولا أن تقاوم... لقد أثار مشاعرها هنا... ولكن أن تكون زوجته المقبلة... ودب الضعف في ذهنها وجسدها، كانت ترغب فيه، وتكرهه.

وهمس بصوت تثقله المشاعر: «كارولين...» فانتابها الذعر وأومأت برأسها وهي تهمهم: "أجل." وسرعان ما تراجع عنها كلياً وكأن كل ما كان يهمه هو الوصول إلى غرضه.

وأخذت تسوي من شعرها بيدين مرتجفتين، وكذلك تجاهد في تمالك مشاعرها بينما كان هو يراقبها بصمت. واخذت تفكر في أنه يظن أنّ بامكانه أن يحصل على كل ما يريد. ولا شيء يذهب بتوازنه، حتى ولا امرأة جذابة ترتجف وتحن شوقاً... إنه يستحق ما...

قال: «رافقيني إلى السيارة.»

نظرت إليه وقالت بتمرد: «لماذا؟»

قال: «للتأثير على الآخرين، ماذا تظنين غير هذا؟»

أخذت تتأمله لحظة. كان في السخرية البادية على ملامحه، وعدم اكتراثه، ما جرح كبرياءها. ان أي شاب يرافقها، لكان امتلأ حماساً ورغبة في تكرار مرافقته لها، ولكن ادوارد كان شيئاً آخر.

قال: «كم يبدو حسناً لو أننا...»

قاطعته: «لا بأس.» وسارت بجانبه وهي تقول: «اننا سنستغفلهم بمظهرنا هذا معاً.» وتابعت تحدث نفسها سراً، كذلك أنا ساستغفلك. هذا بينما كان هو يفتح لها الباب لترى اعين الموظفين جميعاً منصبة عليهما. لقد نال اكثر مما كانا يتوقعان.

همس لها بصوت مسموع: «سآتي لأخذك بعد انتهاء الدوام، إذن، يا عزيزتي. إننا سنذهب لاختيار الخاتم.»

حاولت ان تتجاهل الشهقات والاضطراب الذي ساد أنحاء المكان حولها، مركزة نظراتها في عيني ادوارد وهي تتنهد كأية امرأة صرعها الحب، ثم قالت: «ما أروع هذا.»

قال بصوت خفيض: «يا عزيزتي...» ولكنه كاد يصطدم بأحد المكاتب، فقال معتذراً: «آسف، ان رأسي يدور.»

أخذت كارولين تتأمله مفكرة في قدرته على الظهور بمظهر الارتباك الكلي والتألق بالسعادة. يا له من جرذ حقير. فقد كانت تعلم جيداً أن ادوارد لا يمكن أن يفقد الحس بالكرامة إلى درجة تجعله يصطدم بأي شيء. فياله من ممثل قدير.

قالت تحدث من كانت تمر بهم: «انه يرفض استعمال

نظارات طبية. أرأيتم زهو الرجال؟» وأمام الأعين الذاهلة أكملا، هي وادوارد طريقهما ضاحكين، وعند الباب الدوار ساعدها بلطف على الخروج وهو يبتسم لها اكثر الابتسامات التي رأتها في حياتها تملقاً، ثم تمتم وعيناه تلمعان: «والآن قولي إلى اللقاء بشكل لطيف.»

قالت: «إلى اللقاء بشكل لطيف...» واختنق جوابها المتعمد والذي ألقته بشكل مسرحي، وذلك لدى نظرة منه اصعقتها، وهو يقول: «لا أريد منك مثل هذه الألاعيب يا كارولين، وخصوصاً عما قلته من أنني بحاجة إلى استعمال نظارات طبية. انك بهذا، ستجلبين لنفسك الضرر.»

ابتسمت نفس الابتسامة التي تواجه بها، عادة، من يأتي لاستشارتها في المكتب لأول مرة، وقالت: «هذا شيء آخر، يا عزيزي.» وغمزته بعينيها وهي تقول: «ألا ترى أن خطبتنا المفاجئة هذه مازالت فجة غير قابلة للتصديق؟»

قال: «ولكن الحب كان يجمعنا مرة، أليس كذلك؟»

أجابت: «كلا.»

ابتسم للمرارة التي بدت في صوتها، وأخذ يتكلم بعطف قائلاً: «انني رجل مستعجل.»

قالت بقلق: «ان ديانا وجدي سيعودان إلى البيت لتقابلهما صدمة لا أريدها لأي منهما.»

أجاب: «ان لديك من الوقت ما يكفي لكي تفكري في أفضل طريقة تخبريهما بها بالأمر، بينما تتكلفين البهجة والتألق. وتحدثيهما كيف وقعت فجأة، وبشكل جنوني، في غرام أروع شاب في العالم. انهما يحبانك، وسيسران لأجلك.»

قالت بحقد: «انك لا تنفك عن التفكير، أليس كذلك؟»

أجاب: «لا بد لي من ذلك، فان لدي وقتاً كافياً لمعالجة الأمور. إلى اللقاء. لوّحي لي بيدك وابتسمي ابتسامتك الخجول تلك. انها فتاكة.»

تصنعت النظر إليه بحب وغنج وهي تجذب نفساً عميقاً. حسناً. انه يظنها الآن قد اصبحت طوع بنانه، ولكنه سيرى ان بامكانها هي أيضاً أن ترمي بسهمها. ولوحت له بيدها بجنون وقد رسمت على وجهها ابتسامة بالغة الحلاوة، لتستدير بعد ذلك، متلهفة إلى تدبير خطة تحبط مساعيه.

www.elromancia.com

الفصل السابع

عند عودتها، كانت الجلبة تسود الجو في المكتب، وكان عليها أن تمثل دور الفتاة الخجول فترفض اخبارهم شيئاً. ولما كان عليها أن تقابل والدة طالب كثير الغياب كانت في انتظارها، فقد أنقذها ذلك من مهمة الزيادة في الايضاح. وأخذت تعالج، بحماس، شكوى الأم من أن المساعدة الاجتماعية التي كانت تتلقاها قد توقفت بعد أن ذكّروا الأم بأن تلك المساعدة ستعود فترسل إليها بعد أن يعود ابنها إلى المدرسة.

كان يوماً عادياً في حياتها العملية، فهو متعب، ومثمر ومحبط، ان عليها أن تخطط بعمق وعلى الدوام. كما انها لم تكن مستعدة، مزاجياً، لرؤية ادوارد بعد انتهاء اليوم المدرسي، ينتظرها وهو يتحدث إلى الطلاب الملتفين حوله، مرة أخرى.

كان متكئاً على باب سيارته، مرتدياً بنطال جينز وقميصاً أخضر. وشعرت بالحسد لاهتمامه البادي بالطلاب. وفكرت بضيق في أنه لا يعاملها مطلقاً بمثل ما يعاملهم به من جدية ودماثة.

نادته: «ادوارد.»

قفز على الفور مجيباً: «كارولين.» ثم تقدم مخترقاً بها المجموعة حوله وعلى وجهه ابتسامته التي لا حد لجاذبيتها وهو يهمس بينما يفتح لها باب السيارة: «لقد اشتقت اليك يا حبيبتي.»

كان صوته يهتز إلى الحد المطلوب تماماً، كان صوتاً محباً انما ليس ضعيفاً. يا له من وحش ماهر. وابتسمت له وقلبها مليء بالكراهية لخداعه هذا، وقالت تجيبه: «أحقاً؟ عليّ أن اعترف بأنني لم أجد وقتاً لذلك، فقد كنت مشغولة جداً.» كانت تقول ذلك وهي تدخل السيارة الفارهة، وتعني ضمناً أنها نسيته في الحقيقة.

تمتم محذراً: «لا أريد معارضة لما أقول.»

ثم قال بصوت عالٍ: «ان اتجاهنا الآن إلى متاجر المجوهرات، ومن بعد ذلك إلى متاجر الثياب الجميلة...»

انتهرته قائلة وقد احمر وجهها غضباً: «ادوارد.» ذلك بعد أن رأت أقرب الطلاب إليها يتنفس، بصعوبة، مازادها غيظاً عما كان ادوارد يفعله من مساس بسمعتها، وقالت له بسرعة: «دعنا نذهب.»

همس قائلاً: «انك تستحقين هذا بسبب قولك انك لم تشتاقي إليّ. انني أدرى منك بالقيام بهذه الألاعيب، لقد سبق وحذرتك، فلا تسببي لنفسك الضرر.»

وأدار محرك السيارة بعد أن لوّح لكل واحد من أولئك الطلاب بيده متوددا.

ثم قال وهو يبتسم لها: «علينا أن نبدو وكأننا نتحدث بحيوية.»

نظرت إليه قائلة بمرح: «ما أجمل سيارتك هذه.» وكان ادوارد جالساً في سيارته متعمداً مفسحاً المجال لأكبر عدد من أولئك الطلاب لالقاء نظرة عليهما، وكانت هي تتابع قائلة: «لا بد أنها قوية المحرك. هل هي أسرع من السلحفاة؟»

أجاب بلطف: «مائة وثمانون ميلاً في الساعة. انني أحب الشعور بقدرتي على التحكم بمثل هذه السيارة الرائعة. انها جميلة، مشاكسة قليلاً، صعب التعامل معها قليلاً، وذات طاقة مدمرة، ولكنني أعرف بالضبط كيف اراقبها على الدوام، ومتى أرخي لها الحبل وأدعها تركب رأسها. الأمر كله مسألة توقيت واحساس مرهف كما ترين... هذا إلى يدٍ قوية.»

وتملك كارولين شعور وحشي، رغبة في التحرر من هذا الكبت لمشاعرها... وأخذت تراقب، خلسة، الطريق الذي تسير فيه السيارة. وهي تفكر في عدد النساء اللاتي عرفهن، وفي تلك التي احبها خاصة. وزمّت فمها وهي تشعر بالتعاسة.

واهتزت عندما وقف أمام محل مجوهرات، بدأ يساعدها على النزول. كانت كل حركة منه تثير عواطفها. وشعرت بأنها لا تستطيع متابعة ذلك، خاصة أمام الناس الذين تعرفهم.

قالت ضارعة: «لا أريد شراء الخاتم من هنا، ألا يمكن شراؤه من فلوريدا؟»

قال باسماً: «ان المسألة هي أننا نريد أن نشيع هذا الموضوع لا أن نخفيه. هيا، عليك أن تبدي العذوبة والرقة، مع شيء من الانبهار، هل فهمت؟»

استقبلتها امرأة شقراء ذات ابتسامة دافئة وهي تهتف: «كارولين، مرحباً.» فابتسمت لها كارولين بدورها وقد أدهشها أن ترى ماري تعمل هنا بدلاً من والديها. فقالت لها مترددة: «ماري، ما أجمل أن اراك هنا.» لكن ماري لم تكن

تستمع اليها على كل حال، ذلك أنها كانت تنظر إلى ادوارد مصعوقة.

تمتم ادوارد ماداً يده إليها: «مرحباً يا ماري. هل تذكرينني؟ انني ادوارد تروتسكي، كيف حالك؟»

فنظرت ماري مستنجدة إلى كارولين لكي تشير عليها كيف تتصرف معه، وهي تقول: «أنا...»

قال لها بلطف وهو ينظر إلى كارولين بحنان: «لا بأس، فقد ذهب الماضي وقد تحدثنا، أنا وكارولين، طويلاً... أليس كذلك يا عزيزتي؟»

رسمت على شفتيها ابتسامة وهي تقول: «نعم يا ماري، لقد كان رجوع ادوارد بمثابة صدمة. وهو أمر غريب بالنسبة إليك كما هو بالنسبة إلي. وسنتقبل ذلك تدريجياً، أليس كذلك؟»

أجابت ماري بحيرة: «نعم.» وانتاب كارولين شعور رهيب لوضعها في هذا الموقف الصعب، فقد كانت ماري ووليم عروسين، في ذلك الحين وكانا هما اللذان وقفا بجانبها وسانداها عندما وقفت في المحكمة تدلي بشهادتها، لكي لا تكون وحدها ولا تشعر انها بدون سند أو عزاء.

سألتها كارولين في محاولة لتغيير الموضوع لكي تزيل ذلك التوجس من عيني ماري الرقيقتين: «أين هم الأطفال؟»

ابتسمت هذه وهي تقول بابتهاج: «لقد خرجا مع جديهما. فقد فكرت في ان اعمل عدة ساعات هنا لأريح بذلك أبويّ.»

سألها ادوارد بحرارة: «هل لديك أولاد؟ كم عددهم؟ أولاد؟ بنات؟»

اجابت ماري مزهوة: «انهما توأمان.» ثم أخذت تصفهما لادوارد المفتون. وأخرجت صوراً لطفلين في الشهر الثالث من عمرهما لتريه إياها.

أخذت كارولين تراقبه باهتمام متزايد وهو يتحدث إلى ماري المتحفظة في العادة، فينال ثقتها بكل سهولة. كانت تتحدث بحماس عن الطفلين مع ادوارد الذي بدا واسع الاطلاع، فيتبادلان المعلومات عن الحفاضات وأمراض الأطفال.

وتأوهت كارولين في أعماقها وهي ترى ماري قد افتتنت بالفته واهتمامه بالطفلين اللذين طال انتظارها لهما. وبدا عليه أنه يتفهم مشاكلها، كما بدا واضحاً أنه مهتم كثيراً بأبناء عمومته الأحداث في البندقية، وله دور حيوي في تنشئة كثير من أقربائه في عائلته الواسعة. لا بأس، إن كارولين، ستحطم هذه الصورة بشكل ما دون أن تعرض وضعها للخطر.

ولكنها ذعرت عندما قالت لهما ماري: «يجب أن تأتيا لتناول غداء يوم الأحد معاً وتريا الطفلين.»

قال ادوارد وقد تألقت عيناه سروراً: «لشد مانود ذلك نحن الاثنين. شكراً.»

سألته ماري برقة: «هل عدت... هل عدت لرؤية أمك يا ادوارد؟»

رد عليها وهو يبتسم بلطف لكارولين التي بدا عليها التوجس: «نعم، نعم، وكذلك... أوه، عليّ أن أخبر شخصاً ما قبل أن أنفجر.» واطلق ضحكة قصيرة خجلى وهو يتابع قائلاً: «انني اخبرك بسر للحفظ وهو أنني عدت إلى اورنتي

لأجل كارولين، وهذا هو سبب وجودنا في محلك هذا.» وارتسمت على شفتيه ابتسامة رائعة وهو يتابع: «فنحن الآن مخطوبين.» واتسعت عينا كارولين، بينما هتفت ماري وهي تحتضن كارولين التي تصلب جسمها، هتفت تقول بسرور بالغ: «هذا رائع. بعد كل ما حدث... ان البهجة تملأ قلبي إذ اعلم أن الأمور عادت بينكما طبيعية مرة أخرى. لقد احبتك كارولين كثيراً.»

وشعرت كارولين بأنها وقعت في الشرك. عليها أن توضح الأمر من ناحيتها الخاصة كذلك، بينما كانت ماري تتابع قائلة: «ولكن، أليس الأمر مفاجئاً؟»

أجاب: «اتسمين ثماني سنوات أمراً مفاجئاً؟ ألم تسمعي عن الرسائل والاتصالات الهاتفية؟» فأومأت ماري برأسها وهي تتبادل الابتسامات مع كارولين حيث أن حب ماري الذي انتهى بالزواج كان قد ابتدأ بالمراسلة، بينما كان ادوارد يتابع قائلاً: «لقد كتمت الأمر حيث أن... حسناً، لقد كان الوضع حساساً. اننا نبحث الآن عن خاتم خطبة. أجمل خاتم عندك.»

قالت ماري باسمة: «ما أعظم سروري. متى سيكون العرس؟»

أجاب ادوارد: «قريباً.»

وفي نفس الوقت قالت كارولين: «بعد أجيال.» وساد صمت غير عادي، بينما تابعت كارولين تقول: «ليس لديه فكرة عن كثرة الأشياء التي يجب القيام بها.» فقال بجد وهو يخرج كتاباً من محفظة أوراق رمادية اللون: «إن لديّ هنا كتاباً.»

حدقت كارولين في الغلاف بحيرة، وقرأت الاسم بصوت خفيض مختنق: «(قائمة بما على الخطيبين السعيدين أن يقوما به في الاستعداد للزواج).»

قال: «لقد استحضرت نشرة عن كيفية الاستعداد للزواج، وقد أشاروا عليّ بهذا الكتاب كذلك.»

وجاهدت كارولين لتمنع نفسها من الابتسام. ليس ثمة ما يمكنها عمله الآن، وشعرت أنه أوقعها في شرك أكاذيب مروّعة، وكان هو يتابع بحماس: «ان هذه الارشادات تجعل حفلات الزفاف جد بسيطة. فالكتاب يتضمن كل ما نحتاج إلى معرفته. انظري يا عزيزتي، ان هنا كل شيء عن قوائم الضيوف ومتعهدي الأطعمة... بالمناسبة، لقد قابلت ألفريد وسيوافينا بقوائم الطعام. كما اشتريت البطاقات ودفتر ملاحظات لتسجيل الهدايا حسب ارشادات الكتاب. وقد رأيت أن نضع المعلومات في الكمبيوتر الذي عندي حيث أنها معقدة إلى درجة كبيرة، انني أعرف مدى انشغالك، انما بإمكاني أن أتصرف وحدي إلى حد كبير.»

قالت وهي تشعر بالغثيان لأكاذيبه المروّعة: «يبدو انك سبق وأنهيت قسماً كبيراً من العمل.»

قال برقة: «تشجعي، يا عزيزتي، فأنا معك.» ولكن حقيقة أنه ليس معها، هو ما كانت تكره. وأشاحت بوجهها وهي تومىء برأسها بسرعة متظاهرة بالتفرج على عرض للحلي.

قالت ماري: «لم أر قط شخصاً مثلك بمثل هذا الحماس لحفلة زفافه. أنظري يا كارولين، ما رأيك بهذه؟» وعرضت عليهما مجموعة من الخواتم التي كانت تلقتها حديثاً وقد

تألق وجهها بالسعادة لأجل كارولين، التي وجدت من الصعب الاستمرار في الكذب حين أخرجت لهما ماري أجمل وأثمن خاتم عندها، فتناوله ادوارد ثم اعطاها إياه بكل هدوء.

حملقت كارولين في الماسة الضخمة التي كانت محاطة بأحجار الياقوت الأزرق، ولم تتمالك نفسها من أن تقول متلعثمة: «انه... انه جميل.»

قال بصوت أجش: «ان الماس هو رمز الاستمرارية. والياقوت الأزرق يماثل لون عينيك.» فبقيت كارولين لحظة لا تستطيع الكلام إزاء النظرة الطويلة التي رمقها بها، والتي كانت مليئة بالحب.

همست وهي تهتز، ضارعة إليه بعينيها أن يريحها من هذا العذاب: «أواه، يا ادوارد.»

فقال وكأنما أذهلته مشاعره: «كارولين.»

فتمكنت، بشكل ما، من تحويل نظراتها عنه وقد اغرورقت عيناها بالدموع إزاء هذه القسوة التي لا تطاق. ولما كانت تعلم أن ماري لا بد أنها تنظر إليهما، صبت اهتمامها على فحص الخاتم، فأخذت تتلمس الماسة والأزهار المصنوعة من البلاتونيوم والتي كانت تكمن فيها أحجار الياقوت الأزرق. كان خاتماً يعلو على كل الخواتم، ولكن كل هذا كان زيفاً وكذباً... وودّت لو تبكي.

حاولت أن تتكلم، يدفعها إلى ذلك قلبها الذي حطمته قسوة هذا الموقف، فقالت بصوت متهدج: «انني... لا استطيع...»

قاطعها قائلاً: «لا تهتمي لمسألة الثمن، يا عزيزتي، فهو

رائع، وثمنه لا يهمني.» وأضاف برقة وعيناه تلتمعان: «ان الأمر يستحق هذا.»

نعم، ان إذلالها، وتحقيق كل احلامه، كل ذلك يستحق هذا! وعندما اعتذرت ماري إليهما لتذهب لإجابة رنين الهاتف في الغرفة الأخرى، قالت كارولين وهي ترفع رأسها بشجاعة: «ولكن...»

قاطعها بقوله: «لا أريد كلمة ولكن هذه. انني أريد أن اعطيك حسب استحقاقك، فطالما حلمت بهذا. لقد بقيت سنوات افكر في هذه اللحظة. انني...» وتردّد، فنظرت إليه بارتياب، كانت عيناه لامعتين رقيقتين، وكأنه، هو أيضاً، كان مستاءً مثلها. وبدا لها أن في عينيه لمحة أسى ربما للنزاهة التي فقدها منذ زمن طويل. وأضاف: «ان حبي لك لم يبارح قلبي قط.» واشتبكت نظراتهما في صمت طويل. انها تصدق ما يقول. لقد صدقته حقاً. وهمس: «كارولين.»

أغمضت عينيها المعذبتين. انها تحبه، لقد سبب لها الآلام ومازالت متشوقة إليه، إلى أن يحبها رجل قد حل به التلف والانحراف. ومرت لحظات من العذاب المبرح إلى أن وصل الأسى بقلبها إلى حد الشعور التام بالوحشة. انها تريد أن تستمتع بحبه. إلى متى تستمر في انكار الحقيقة؟

همست بضعف: «أواه، يا ادوارد.» ولكنه أدهشها إذ رأته يبتعد عنها بلطف ما جعلها تدرك أنه لا يريد ان يجعلها تعتقد أنه في خطر الوقوع في غوايتها.

قال: «لقد كان شكرك لي جيداً.»

تمتمت وقد دارت رأسها: «أحقاً؟»

قال بهدوء: «ان هذا يستحق تجاوباً كاملاً في ما بعد.»

وتملكها الإضطراب، فسارت نحو النافذة تتظاهر بالاعجاب بالخاتم مرة أخرى، بينما كانت في الواقع تحاول أن تتمالك مشاعرها مرة أخرى. الرغبة، الغضب، الخوف، اخذت تفكر في كل هذا وهي تهتز كورقة الشجر. لم تدرك أيهما الأسوأ... هل هو الاستمرار في الخداع، أم هو الواقع المهين والذي هو استمتاعها بهذه العلاقة المفروضة عليها؟

كانت ماري قد عادت في هذه الأثناء وكان ادوارد يتحدث معها. وكان يقول: «تذكري يا ماري أن هذا سر. اننا لن نستطيع إذاعة النبأ قبل ثماني وأربعين ساعة.» وابتسمت كارولين ابتسامة ملتوية. إذا كان يأمل في أن ماري ستتجاهل توصياته، وتذيع هذا السر، فهو مخطىء، ولكن كارولين لم تعلم كم من الأشخاص قد سبق واخبرهم بسره هذا، وهو يتنقل من مكان إلى مكان فيشتري الكتب عن تقاليد حفلة الزفاف، وبطاقات الدعوة. وكان الآن يقول: «اننا سنتصل هاتفياً بجدها داني هذه الليلة.»

وشعرت كارولين بدوار وهي تسمع ذلك. ها هي ذي تقع في الدوامة التي أوجدها، وانكمشت خوفاً. عليها أن تقنعه، بشكل ما، بأن الأمر جاد. بينما هي لم تخدعه قط في حياتها، انه سيثق بكلامها تماماً.

قالت ماري: «وماذا بالنسبة إلى...» وسكتت وقد سادها الارتباك، فقد كانت مرهفة الاحساس.

ابتسمت كارولين بضعف وهي تجيب على سؤال ماري: «نعم، والدة ادوارد، اننا سنخبرها بكل رفق، إذ ليس بامكاننا أن نصدمها مرتين، واحدة إثر الأخرى. ان عليها،

أولاً، أن تتعود على فكرة عودة ادوارد، وبعد ذلك نخبرها بخطوبتنا برفق بالغ للغاية.»

تقدمت ماري وأخذت بيد كارولين بين يديها قائلة: «انني متفهمة لهذا، وأنا سعيدة جداً لأجلك. لقد ضحيت بالكثير لأجل الآخرين وقد حان الوقت لكي تحصلي على بعض السعادة لنفسك.» وأدارت رأسها إلى ادوارد قائلة: «ان كارولين فتاة رائعة، وإذا هي احبتك فأنت رجل محظوظ جداً. انها، حقاً، تستحق الأفضل.»

رأت كارولين ابتسامته تبهت، كما أن عينيه التمعتا وهو ينظر إليها رافعاً حاجبه منتظراً ما تقول. فقالت بصوت مرتجف: «إنه... الأفضل.»

وفكرت بحزن في أنه كان كذلك مرة، ولكن شيئاً مريعاً قد أفسده. كان نقياً متلهفاً عندما جاء من البندقية لأول مرة، مليئاً بالحماس وبشعور عنيف بالشرف والعدالة. لم تتصور قط أنه سيسيء استخدام مواهبه. ربما رؤيته لقصر جوليا جعلته حسوداً زائد الطموح. وقد تصورت أن هذا هو السبب الذي جعل جوليا تخبرها بأنه يتلهف إلى أن تقنع والدها بأن يموّل تعليمه الجامعي على أن يصبح هو بالمقابل، صهرهما مستقبلاً. حيث أنه لم يكن بامكانه تغطية تكاليف دراسته في جامعة هلبرت التي كان قد حصل منها على منحة دراسية. حدث ذلك الجدال الكبير بينه وبينها تلك الليلة في السيارة حين رفضت التعاون معه، اللكمات التي تركت كدمات في كتفيها النحيلتين، والطريقة التي قبض فيها على ذراعيها بشدة تركت

خمس بقع حمراء على ذراعها، والتي اظهرتها جوليا تريها لكل انسان كدليل على عنف وشراسة ذلك الفتى الأشقر. ان كارولين تعلم الآن ان ذلك حقيقة واقعة، فقد كان لا يريد سوى مصلحته، فهو صلب قاسٍ لا يهتم بالخطر ولا بمن يتضرر.

ولكنه، هذه المرة، قد وجد مثيلاً له. فهو لن يتمكن من تحقيق احلامه إذا كان ذلك يتعلق بها.

ونظرت إليه يدفع ثمن الخاتم، مظهراً، وهو يتقبل تهاني ماري وتمنياتها الطيبة، الخجل والزهو في نفس الوقت. كان يبدو شاباً طيباً من ذلك النوع الذي يمكن أن تحضره الفتاة إلى البيت لتقديمه إلى الماما.

وحدثت نفسها عابسة، بأن هذا ما سيتكرر حدوثه اثناء الأيام القليلة القادمة. فهو سيجذب كل شخص إليه وذلك باهتمامه بأي موضوع مهم في حياة ذلك الشخص واعطاء رأيه فيه. وشيئاً فشيئاً سيتمكن من التغلب، بذلك، على أية معارضة لأنها هي، المرأة التي أخطأ هو بحقها في أمور كثيرة، كانت تحبه، ولن يكون باستطاعتها القيام بشيء في هذا الشأن. لقد ابتدأ ببسط سلطته في أنحاء المدينة، وفي ما بعد، عندما يفترقان، سيتعرف هو إلى امرأة أخرى ويستقر معها...

جاءها صوت ادوارد: «هل أنت جاهزة يا عزيزتي؟»

ارتجفت، ثم قالت متنهدة متصنعة المرح: «نعم. إلى اللقاء يا ماري. محبتي لوليم وللطفلين.»

وغادرت مع ادوارد المحل نحو السيارة، والخاتم يحرق اصبعها. وهي تتساءل كيف ستساعد ديانا على تقبل فكرة

عودة ابنها. وقادها نحو السيارة دون أية كلمة، إلى أن اصبحت على استعداد للانطلاق.

قال: «سآتي لأخذك إلى العشاء الساعة السابعة، في أي وقت ستخبرين جدك؟»

أجابت: «شكراً. ان لدي طعاماً في الثلاجة. ليس عليك أن تشتري لي عشاء لمجرد انك...»

قاطعها بدون تهذيب: «ان علي ذلك، لسوء الحظ. فنحن خطيبان سراً كما هي الخطة، ولهذا اريد ان تعلم بذلك المدينة بأجمعها. ما الذي كنت ستفعلينه لو كنا مخطوبين حقاً؟»

قالت تجيبه: «كنت أطلب القبض عليّ باعتباري مجنونة.»

قال ببطء دون أن يهتم بسخريتها: «ولكنك ستخرجين للعشاء مع حبيبك. وإذا كنت لا تريدين أن يلحق جدك أي ضرر، فمن الأفضل أن تعودي إلى تمثيل دور خطيبتي المسرورة. هل لديك ثوب يليق بالمناسبة؟»

فقالت: «ثوب أسود.» فقد كانت ترى أن هذا اللون يتناسب مع الاكتئاب الذي تشعر به، إذ تتظاهر بأنها مخطوبة، بينما هي ليست كذلك.

قال: «انني من رأيك، ولكنني أريد أن يرانا الآخرون. لقد حجزت مائدة في وسط المطعم. هل عندك ثوب مناسب يجذب الأنظار؟»

خفضت نظراتها وهي تفكر في ثوبها القرمزي اللون، لقد كانت اشترته من التنزيلات فبهر عينيها.

انه يريد جذب الأنظار، وسيحصل على ذلك. قالت: «اظن

ان لدي ثوباً مناسباً.» ونجحت في أن ترسم على شفتيها ابتسامة عذبة بريئة.

سحبت كارولين نفساً عميقاً. لقد انتهت من تبادل التحيات والأسئلة عن الحال مع جدها وديانا، وعن كل ما يتعلق بالجو والعطلة. والآن حان وقت الجزء الصعب.

ابتدأت تقول مترددة: «جدي، ان لديّ خبراً سيسبب لك صدمة. لم أكن أود أن إخبارك به هاتفياً، ولكنني حريصة على أن تسمعه مني أولاً.»

سألها بقلق: «هل أنت مريضة؟»

سارعت تطمئنه: «كلا، كلا.» وانتابها شعور عميق بالكراهية لادوارد. انها لم تخدع أحداً قط في حياتها. وعادت تقول: «انني... انني مخطوبة يا جدي.»

سألها ذاهلاً: «أنت ماذا؟ ولمن؟ انك لم تكوني تعرفين احداً قبل قيامنا بالإجازة.»

قالت وهي تضع السماعة تحت ذقنها وقد لفت جسدها بمعطف الحمام: «اعلم هذا.» وتجنبت إخباره بأنه ادوارد، لم تكن تريد أن يقطع جدها إجازته التي كان بأمس الحاجة إليها ويعود قبل أن تنتهي من ادوارد وتبعده عنها. فهي ما أن تذكر اسم ادوارد حتى يبدأ جدها بحزم أمتعته.

قالت: «لا أريد أن اخبرك هاتفياً، انني افضل ان اخبرك مواجهة. ولكن هذا ما حدث وقد لبست الخاتم. انه خاتم رائع يبهر النظر، وماري تعرف بالأمر، وربما آخرون

سيلاحظون ذلك، لأنني لن اخلع الخاتم. انني لم أشأ أن تعرف بالأمر من غيري ولهذا اتصلت بك.»

قال بقلق: «ولكن، يا حبيبتي. من يكون هذا الرجل الذي اكتسح قلبك بهذه السرعة؟ ثم هل انت تحبينه؟ هل هو حبيب العمر؟»

ترددت جزءاً من الثانية ما لبثت بعدها أن قررت أن تفصح عن شعورها فقالت شاكية: «نعم، انني أحبه حتى الجنون. ولكنني لا ادري السبب في انني غير واثقة من انني اريد ان يكون شعوري إلى هذا الحد، ولكنه يملأ عقلي على الدوام، وتتملكني هذه المشاعر كلما رأيته وهذا يخيفني، لأنني افكر احياناً في أنه إذا طلب مني أن أقفز معه من فوق الجبل فانني سأطيعه.»

قال جدها وفي صوته رنة عطف مزيجة بالهزل: «لا بد انك مجنونة، ولكن من هو؟» وسكت فاستطاعت أن تسمع صوت ديانا يناديه فيجيب: «ماذا؟ نعم، كلميني في وقت آخر يا كارولين، علي أن اذهب الآن. لقد وقعت ديانا بينما أليكسا الممرضة في الخارج.»

وسكت الهاتف. فأخذت تحدق فيه لحظة وهي مازالت تشعر بجرح في قلبها من وصفها لمشاعرها الحقيقية نحو ادوارد. لقد قامت بذلك فقط لكي لا يظن جدها فيها التسرع.

ولكنها كانت غبية حقاً فقد ظن جدها أنها مجنونة، وكذلك سيظنها الآخرون...

توقفت وهي تفكر في أنها بتدميرها خطط ادوارد، فانها ستدمر كذلك سمعتها التي كانت كونتها بكل عناية، ولكن عبوسها مالبث أن تلاشى. انها ستعيد كل ذلك إلى الاجهاد

وضغط العمل، وماضيها، إلى عملها الحسن، سيكونان كفيلين بأن يصفح الناس عن كل ما سيصدر عنها من شذوذ.

ولحسن الحظ أن خطبتها المفاجئة لادوارد ستبدو من جملة الأمور الشاذة الغبية التي قامت بها... والتي تخلو من التعقل والحكمة، وربما اعتبروه شاباً يستغل اسمها لكي يستعيد اسمه القديم الطيب.

انها لن تقبل باستغلاله لها. لن تسمح لمتعجرف مبتز بأن يصعد بواسطتها إلى حيث يحقق هدفه.

ونبهتها ساعتها إلى الوقت، فاندفعت في مثل الدوامة، ترتدي ثيابها وتصلح من شعرها. وفي الردهة ألقت بنظرة على نفسها في المرآة، وشعرت بالذنب وهي ترى نفسها في هذا الثوب القرمزي اللافت للنظر.

كانت قد غطت شعرها بقبعة سوداء لامعة تطايرت من تحتها عدة خصل من شعرها، هذا إلى غرة تكومت فوق جبينها. كما بالغت في التبرج حيث أسرفت في وضع الماسكارا على رموشها ما اظهرهما اكبر حجماً، حتى لم يعد يبدو من وجهها سوى العينين والفم القرمزي اللون. ونظرت إلى نفسها في المرآة، لتضحك مما بدا لها شكلاً سخيفاً.

قرع جرس الباب، فأمسكت بحقيبة يدها ثم هبطت السلم وقلبها يخفق. فتحت الباب وهي تهتف مرحباً: «مرحباً. هل ادهشك أن اكون جاهزة؟» ومرت بجانب ادوارد تتجاوزه بخطوات واسعة دون أن تنظر إليه، وهي تتابع قائلة: «هيا بنا. أكاد أموت جوعاً.»

ونظرت إليه من فوق كتفها ضاحكة، ومن ثم تراخت

عزائمها، ليس فقط لأنه بدا في منتهى الروعة ما جعل خفقات قلبها تعلو عن حدها الطبيعي، وإنما لاعجابه غير المحدود بمظهرها.

سألها: «هل اخبرت جدك عن خطوبتنا؟»

أجابت: «نعم.»

سأل: «وبعد ذلك؟»

قالت: «لقد ظن أنني مخبولة.» وفكرت في أن جدها ربما على صواب، فقد كانت تشعر وكأنها تطير في الجو. لقد أدار رأسها كونه يراها حلوة سارة. كما جعلها احساس غريب بالانتصار تشعر بالوهن.

جلس بجانبها في السيارة دون أي تعليق. ولكنها شعرت بالتوتر يملأ جو السيارة. واخيراً قال: «عليك ألاّ ترتدي هذا الثوب مرة أخرى بعد هذه الليلة، ليست هذه هي الصورة التي أريدك أن تكوني عليها.»

تمتمت تقول وقد سرها شعوره بالضيق: «هل كنت تفضل الآنسة الرائعة في ملابسها الكلاسيكية؟ لقد توخيت في ثوبي شيئاً من التغيير.»

قال وهو يقترب من المطعم، ليوقف السيارة في مكان مناسب، قال متهكماً: «شكراً لاخباري بذلك. لقد سبق وأدركت ذلك، فأنا اعرف الاعيبك.»

سألته بحدة: «أية الاعيب؟»

أجاب ببطء: «الاعيب ضبط النفس.»

قالت وهي ترتجف: «لا ادري ما الذي تتحدث عنه. لا تكن احمق. ان اغضابي لن يفيدك بشيء فأنت بحاجة إليّ...»

قال بلهجة تنذر بالشر: «وكذلك أنت بحاجة إليّ.» وتابع

يقول بصوت متوتر: «انني اريدك ان تصغي إليّ. ان ثمة قواعد في ترتيباتنا يا كارولين واريد ان اتأكد من اتباعك لها، وهي أن اتأكد من انك تعلمين من هو الرجل في علاقتنا هذه. فأنا لست ولن اكون ابداً ذلك الرجل الذي يزحف لاهثاً لأجل امرأة. انني افضل، عند ذلك، ان ابتعد عنها.»

قالت حانقة: «انني لست كما تظن.»

قال ساخطاً: «أليس لديك فكرة عن الفرق بين الصدق والكذب؟ لقد اوضحت للجميع في المدرسة، منذ فترة قصيرة، انك لم تفكري بي طوال النهار، لكي تعطيهم مجالاً للتفكير في أنني أنا الذي ألاحقك.»

قالت: «لقد كنت مشغولة.»

قال ببرود: «لا بد للحبيبين من أن يفكر الواحد منهما بالآخر، وكان عليك أن تجعلي الآخرين يظنون ذلك حتى ولو لم يكن حقيقة. والآن تحاولين ان تظهري لكل من في المطعم أنني اتحرق شوقاً اليك.»

حملقت فيه قائلة: «انني لم ألبس هذا الثوب لألفت نظرك، وإنما لأجل تمثيل الدور.» وكانت تعني تمثيل دور المرأة المخبولة، وتابعت قولها: «يا ليتني ارتديت سترة صوفية وبنطال جينز وحذاء بشريط كما كنت أنوي. لشد ما أكره سيطرتك هذه وتحكمك بي.»

قال ببطء: «ان كراهيتك كذلك لا توازي كراهيتي لوقوعي منذ عشر سنوات تحت رحمة فتاتين سافلتين حقودتين. والآن قد انقلبت الأوضاع واصبحت تحت سيطرتي.»

فقالت: «فهمت. انك تريدني أن أكون طوع اوامرك، وأنثر الزهور في طريقك...»

تمتم بضيق: «كلا، فهذا يثير اشمئزازي. انني اريدك فقط ان تتظاهري بأننا حبيبان، وأن العلاقة بيننا هي علاقة تكافؤ. فحبك لي هو بقدر حبي لك، واننا يهتم الواحد منا بالآخر تماماً. يجب ان نعطي انطباعاً بأننا يستمتع الواحد منا بصحبة الآخر، وان العلاقة بيننا هي حلوة رقيقة يسودها الاحترام المتبادل، هل فهمت؟»

كانت كارولين صامتة تائهة في تعاستها. انه لم يخرج عن أنه وصف ما تحلم به نحوه، ولكن عليها أن تقوم بتمثيله. وقالت بصوت متهدج: «انني اكرهك! انني احتقر ما تقوم به نحوي لكي تنال ما تريد. ان المتوحش تماماً هو الذي يعامل امرأة بهذا الشكل.»

قال: «وفقط المرأة السافلة تماماً هي التي تستحق هذه المعاملة. وعليك أن تتعلمي كيف تتصرفين كسيدة مهذبة في المجتمعات. هذا إذا كنت تريدينني ان اتصرف معك، على انفراد كسيد مهذب.»

كان التهديد واضحاً. فقد كان يريد به أن يريها من هو السيد. وقالت محذرة: «إذا أنت آذيتني...»

قاطعها قائلاً: «ان لدي طريقة افضل من القوة الهمجية لاظهار قوتي. اظنك وجدت الأمر مسلياً إذ تتوخين اطرائي في محل المجوهرات، بينما تدركين انك ستكونين بمأمن لأنني ما كنت لاستطيع التجاوب بوجود ماري.»

قالت متلعثمة: «و... ماذا؟»

قال: «لقد تحولت فجأة من حال إلى حال كلوحة اعلان عرض البضائع. وكنت على وشك الانسحاب مما كنا خططنا له، عندما ادركت، لحسن الحظ، ما تقصدين إليه. ان عليك أن

تتوقعي نتائج ما تقودينني إليه. حسناً... ها قد تلقيت بعض النتائج، وساجعلك متى شئت أنا، تنهين هذا التمثيل.»

قالت: «ولكنه لم يكن...» وسرعان ما تملكها الذعر إذ أدركت أن ليس بإمكانها أن تخبره بالحقيقة...»

قال: «انزلي، انما ضعي ابتسامة على وجهك قبل ذلك.»

قالت: «لا استطيع.»

قال: «تمهلي، إذن حتى يمكنك ذلك.» ووضع شريطاً موسيقياً لتعصف بها موسيقى البوب الصاخبة، وهو يقول: «قد تعطيك هذه الموسيقى بعض الحيوية. هيا، ابسطي ملامحك، ان هذا مهم جداً. وتذكري ان هناك اشخاصاً سيعرفونني، وربما واحد أو اثنان منهم يتذكرون حادثة الاصطدام تلك. فهيئي نفسك لبعض النظرات العدائية.»

قالت بصوت خفيض: «اعلم ذلك، فقد هيأت نفسي لهذا.»

صاح بها عندما مدت يدها فجأة تفتح باب السيارة: «انتظري، لا يبدو عليك مطلقاً انك مهيأة لذلك كما تقولين.»

تمتمت تقول: «سنتأخر بالنسبة للمائدة المحجوزة.»

قال: «سيحتفظون بها لنا.»

قالت: «انهم لن يفعلوا ذلك، فالموائد هنا ذات أوقات محددة، انني اعلم ذلك لأن تلاميذي يعملون هنا...»

قاطعها قائلاً: «ان صاحب المطعم ورئيس الندل سيحفظونها لي، فانهم يعرفون من أنا. وهم يعلمون بما سأقيم في هذه المدينة من مصالح. ومن هم الناس الذين سأدعوهم للعشاء هنا، فهم لن يفكروا ابداً باغضابي. ان هذه سلطة يا كارولين، وقد اصبحت في يدي الآن، ولن أدعها تفلت مني أبداً.»

الفصل الثامن

أخيراً قالت ببشاشة: «لا بأس. انني مستعدة.»

قال ساخراً: «عليّ ان اسلمك زمام الأمر. انك تعرفين كيف تبدلين مزاجك.»

وهكذا كان. وظهرا امام الآخرين بشكل رائع. لم يطرف لهما جفن عندما تصاعدت الشهقات من عدة نواح من القاعة بعد ان عرفهما القوم. كان ادوارد يشق بها الطريق خلال المطعم المزدحم، بكل زهو وحب... وكان سكان مدينة اورنتي يبكرون في تناول وجبة العشاء كمعظم اهالي ولاية يافوتونيس، ما كان يضايق ادوارد.

كانت مائدتهما على الشرفة التي كانت تشرف على النهر. وفي ذلك الجو الرقيق الدافىء، جلسا يبتسمان محدقين الواحد في الآخر. ولما جاء النادل اليهما بقائمة الطعام، أخذ ادوارد يفحص القائمة، وشعرت هي بشيء من الفزع للوقت الذي استغرقه اختيار الطعام، رافضاً ان يسمح للنادل باستعجاله.

وعندما ذهب النادل، نظر اليها قائلاً: «سأخبرك عن حياتي الماضية.» فالتمعت عيناها بلهفة. انه لم يسبق ان حدثها قط عن حياته قبل حضوره إلى اورنتي، لقد كان يقول فقط انها كانت حياة قاسية. وذلك عندما كانت تحاول استخلاص أية معلومات منه. وسألته بعذوبة: «ألا بد من هذا؟»

قال: «ستكونين بحاجة إلى ان تعلمي ذلك عندما تحدثين جدك عني.»

خفضت عينيها شاعرة بموجة من الخوف تتملكها وهي تفكر في المستقبل القريب الذي يطبق على انفاسها. ان اخبار جدها بكل ما يتعلق بحبيب عمرها سيكون بنفس الصعوبة التي ستخبر بها ديانا. وأبعدت هذه الافكار من ذهنها بجهد، فقد كان لديها خطة عليها أن تنفذها، ودور عليها أن تقوم به. ومن حسن حظها أن توم، صاحب المطعم، لم يكن موجوداً هذا المساء فيراهما، وإلا فلن تستطيع النظر في عينيه مرة أخرى.

قالت متظاهرة بعدم الاكتراث: «إذا كان لا بد من ذلك فافعل، بينما اتناول طعامي. اخبرني عن مدينة البندقية.» وحملقت فيه بشوق.

بدا على ادوارد أنه يعاني من مشقة السيطرة على فمه. فاستمر يضحك بدلاً من البقاء جاداً، فضحكت هي وضحك هو معها.

قال ضاحكاً: «يالك من امرأة ماكرة، لا اظن أن أياً منا قد أمضى وقتاً ممتعاً في الأيام الأخيرة. هل لنا بشيء من المرح هذه الليلة؟» فابتسمت وهي تومىء برأسها، وقال بصوت تشوبه لكنة حلوة: «ان البندقية...»

وفكرت بلهفة وكآبة، والحب...؟ كانت تكمن في هذه الكلمة كل معاني الاخلاص والتفاني، فهو، عندما يحب امرأة، يشعرها وكأنها أميرة. وأخذت جرعة من الماء تزيل بها الغصة التي صعدت إلى حلقها. وكان هو يتابع قائلاً: «ان البندقية بلد وعر خشن رائع الجمال، ولسكانها طبيعة

متشككة وحياتهم يسيطر عليها الشرف العائلي. وكان لأبي عمل صغير يتعلق بالمحركات وذلك في مدينة سولارم حيث كنا نعيش. وكانت عشرات العائلات تنحشر في شقق ضيقة حقيرة. وكنت أنا وابن عم لي نشترك في احذيتنا. وفي مجتمع كهذا يتقارب الناس من بعضهم البعض كثيراً.»

انها نافذة على عالمه. ذلك العالم الذي شكل ادوارد وجعله بالغ التشكك عنيفه. وقالت بهدوء: «استطيع تصور ذلك.»

فقال بكآبة: «أشك في ذلك. انه عالم مختلف. ان الأولاد يكبرون بسرعة في سولارم. وقد اصبحت ميكانيكياً ماهراً وأنا في الحادية عشرة من عمري إذ كنت أقضي أوقاتي مع أبي يومياً اساعده في عمله.»

سألته: «والمدرسة؟»

أطلق ضحكة صغيرة وقال: «كنا لا نهتم بالمدرسة فقد كان علينا أن نعيش. وهذا يعني أنه يتعين على كل انسان أن يكسب نقوداً. لقد دخلت أنا مدرسة مسائية في ما بعد إذ جمعت تكاليف ذلك بالعمل، مع كثير غيري من الأولاد، في نقل المياه بالدلو من مضخات المياه.»

قالت باعجاب: «يا لها من حياة قاسية.» لقد نشأ فتى مكرساً جهوده لهدف واحد. لقد علمت الآن سبب طموحه في أن يتسلق السلم بعيداً عن حياة الفقر تلك.

قال: «لقد كان ذلك تدريباً اساسياً جيداً. اعني انني لم اكن خائفاً من العمل الذي كان عليّ القيام به عندما وصلت إلى الولايات المتحدة، لأكتشف، بفزع، أن عليّ أن اجلس في الصف مع أولاد أصغر مني... وأن أقوم بالعابهم.» وابتسم.

قالت وهي تتذكر: «لقد كنت دوماً في المكتبة.»

قال: «لم يكن ثمة مكان في منزلنا للدراسة. كان من الصعب عليّ التغلب على كل تلك الصعوبات لو لم يكن لديّ دافع قوي للنجاح.»

قالت كارولين وعيناها مشدودتان إلى وجهه المتقد بالمشاعر: «لم أكن اعلم قط كم كانت احوالك صعبة، لا بد ان صدمتك لخسارتك العلم كانت هائلة.»

قال: «لا يفيدني شيئاً أن يعرف الناس مبلغ طموحي، فهذا قد يخيفهم. لم يكن بامكان أحد ان يصدق كم كان نهمي إلى العمل.»

سألته: «هل لأجل تكوين ثروة؟»

نظر إليها بحدة قائلاً: «لأجل السلطة، الشهرة، الثقافة.»

خفضت نظراتها شاعرة بالضيق وهي تتمتم قائلة: «جامعة هلبرت.» لقد جاهد في سبيل ذلك اكثر من أيّ شخص آخر عرفته. فكان يقوم بثلاثة اعمال لكي يستطيع شراء الكتب والملابس، فيريح والديه من هذا العبء.

أوما قائلاً: «كان هذا حلمي. عندما علمنا أن ثمة مكاناً لي فيها، وأنني حصلت على منحة دراسية من مؤسسة سويتري ومؤسسة ابناء إيطاليا، قمت مع أبوي برحلة إلى جامعة هلبرت.» فنظرت إليه بجانب عينيها ما جعلها تجمد في مكانها لما شاهدته في عينيه من حزن وجمود. بينما كان هو يتابع قائلاً: «لقد توقفنا في فلوريدا للنزهة لقد كنت احلم هناك، كيف سأدخل في أول يوم لي إلى الجامعة، خلال تلك البوابات الحديدية حيث المستقبل ممتد أمامي وحيث الأمان والرفاهية لوالديّ مضمونة.»

كانت تتعاطف معه شاعرة بالألم لذلك الولد الذي كان يعمل في مضخة المياه فكبر قبل أوانه. الألم لأجل ذلك التلميذ الطموح المتلهف للعلم والذي كان يمضي ساعات الليل في الدراسة. والألم الآن لأجل الرجل الذي كان يأمل في أن يكونه، لو لم يقتل أختها بذلك الحادث.

تنهد ادوارد قائلاً بصوت منغم: «كارولينانانا.» فارتجفت... لقد تلاشى عداؤها له تقريباً بعد سماعها لفظه المنغم العاطفي لاسمها.

قال لها فجأة: «كارولين. أنا أحبك.»

صدرت عنها شهقة مرتجفة، واغرورقت عيناها بالدموع وتمتمت بتعاسة: «ارجوك، يا ادوارد.» وشعرت برغبة في النحيب.

تمتم غاضباً: «هل أنت مجنونة؟ من المفروض أن تخبريني بأنك تحبينني أنت أيضاً، لا أن تبدي وكأنني أقول لك بأنني سأتركك إلى الأبد.»

قالت بغضب: «يا ليتك قلت ذلك.»

قال لها بلطف: «قوليها، قولي تلك الكلمة.» فابتلعت ريقها ثم قالت: «إنني... لا أستطيع، إنها لن تخرج من فمي صحيحة.»

قال: «حاولي. هذا ليراك إذا كان ثمة من ينظر إلينا، وأنا أظن ذلك، لأن كل حركة تصدر عنك تجعل قلب كل رجل هنا يسرع بالخفقان.»

فكرت في أن ذلك ما عدا قلبه هو. وتجمدت نظراتها إزاء نظراته العنيفة الآمرة، واتسعت عيناها وتصاعدت خفقات قلبها.

إن عليها أن تتذكر على الدوام أن جوليا هي التي كان يحبها، ذلك أن ادوارد لديه شيء واحد في رأسه، واحد فقط، كلا بل اثنان، الرغبة والانتقام.

قال فجأة: «هل لك بالحلوى؟»

قفزت من مكانها للمفاجأة التي أيقظتها من تصوراتها. وأخفت خيبة أملها لانتهاء هذه اللحظات العاطفية، وهي تقول بمرح: «لقد خفت أن تكون نسيت أن تعرض علي هذا.»

أخذت تتفحص قائمة الحلويات بعناية لتقول بعدها بمرح فوق العادة: «الكعك بالجبنة... هذا يبدو رائعاً.» وناولت ادوارد القائمة وهي تسأله: «هل هذا شهي الطعم؟»

قال ادوارد يجيبها: «نعم، إنه سيعجبك.»

وعندما استدار يعطي أوامره للنادل، ابتسمت له قائلة: «ما.. أجمل.. ما أشعر به.»

قال: «وما أجملك أنت.» ومد يده يأخذ زهرة غاردينيا من الزهرية. وبدت ساق الزهرة، بالفقاعات التي كانت متعلقة بها، بدت حية. فأمسكت كارولين أنفاسها، ولكنه لم يخرج عن أنه نفضها بعناية ثم مسحها بفوطته، ثم مال إلى الأمام، ورشقها في مفرق شعرها.

وعنفت كارولين نفسها تأمرها بالشجاعة، يجب أن يحصل ذلك الآن. ستخبره بأنها لا تهتم بما إذا كان يحبها أم لا، ستخبره بأنها تريده لفترة قصيرة من الزمن.

عليها أن تفعل ذلك، وهو سيشعر بالارتباك. وتمالكت أعصابها، آملة في أن يكون لها من رصيدها من حسن الخلق الذي جعلهم يتسامحون إذا هي اقترفت خطأ او

اثنين. وقفزت واقفة، دافعة كرسيها إلى الخلف بعنف، ثم فتحت ذراعيها بوحشية وكأنها تريد أن تعانق كل الشرفة والمطعم اجمع، لتعلن بفرحة بالغة: «انني مخطوبة.»

وبينما أخذ البعض يكتمون ضحكاتهم، تمتم ادوارد محذراً: «كارولين.»

كانت ردة الفعل خاطئة، فجذبت كرسياً تسلقته بصعوبة ثم وقفت عليه. وصرخت باستهتار: «انه سر، ولكنني لم اعد اطيق الاستمرار في اخفائه بعد الآن لأنني اريدكم جميعاً ان تعلموا مقدار سعادتي. انني سأقيم حفلة استقبال في قصر كولبن. وأنتم جميعاً مدعوون.» وتصاعد التصفيق وهتاف الابتهاج والضحكات.

قال برقة: «انزلي يا حبيبتي.»

كان يبدو ذلك الخاطب المحب المرتبك في كل خلية منه.

وارتسمت على شفتيها ابتسامة عريضة وهي تقول محتجة: «انني لم انته بعد.» ووقفت لحظة قصيرة تنظر باعجاب إلى ادوارد ثم قالت بلهجة بطيئة رصينة وهي تلقي بنظرة تشع بالانتصار على ادوارد الصامت الذي كان يعيد وضع حبات الفاكهة المتلألئة إلى السلة واحدة بجانب الأخرى، قالت: «مازال عندي ما أقوله.»

قال ملاطفاً: «في ما بعد، يا حبيبتي.»

وخانتها جرأتها، فمالت إلى الأمام كي تنزل من على الكرسي.

تمتم قائلاً بابتسامة هزل خفيفة: «إلى البيت.»

احتجت بلطف تسأله: «والحلوى؟»

عاد يقول وهو يسير معها نحو الباب: «إلى البيت.»

فاطلقت ضحكة قصيرة ثم قالت بعد إذ رأته يدفعها نحو الطريق: «ولكن السيارة هناك.»

قال بهدوء: «اننا سنتمشى قليلاً. ثم أن لدي قاعدة سرت عليها منذ أن صدمت سيارة عمي أمام ناظريّ، وكنت أنا في العاشرة من عمري.»

ارتجفت كارولين ثم قالت بصوت متردد: «وما هي تلك القاعدة؟»

أجاب: «أقسمت بأن لا أقود سيارة عندما اكون مستاءً عاطفياً، لأن هذا يؤثر على قدرة الشخص على التمييز.»

بقيت صامتة تعسة وهما يتمشيان، لأنه حاول أن يبدو في عينيها نبيلاً بينما كان يكذب. فهو لم يكن مستاءً عاطفياً تلك الليلة التي صدم فيها سيارة أختها فيرا. بلا. ربما كان مستاءً عاطفياً إلى درجة بالغة، ومع هذا فقد كان يقود سيارته.

وعندما اقتربا من بيتها، أخذت تتساءل عما إذا كان سيقول شيئاً بالنسبة للعرض الذي قامت به في المطعم. ولكنه بدلاً من ذلك، شكرها لتلبيتها دعوته للعشاء، ثم تمنى لها ليلة سعيدة. فحدقت فيه وقد انتابها الاضطراب، متوقعة جدلاً يحقرها.

ردت عليه قائلة: «تصبح على خير.» وأخذت تنظر إليه مترددة، فإذا بها ترى في عينيه نظرة كالثلج، وهو يقول: «افتحي الباب ثم اشعلي النور لكي اعلم انك وصلت بسلام.»

قالت: «لا تتظاهر بأنك سيد مهذب تريد حمايتي الآن. فلا احد هنا ليرانا.»

قال: «انني اعلم ذلك، افعلي ما أقوله لك. هل ستكونين بخير؟»

أجابت: «آه، نعم، سأكون بخير.»

قال: «في هذه الحالة، تصبحين على خير.» واستدار ثم اسرع بالسير مبتعداً. كانت نصف مبتهجة بهذه الأمسية. نصف معذبة للألم الذي عانته. وشعرت بالعزاء وهي تفكر كيف كان صوته مفعماً بالعاطفة. ربما كان ذلك خطراً، ولكن لا يمكن انكاره، ولكنه اشبع غرورها لدرجة بالغة.

كانت شقتها ساكنة وفارغة. فشعرت بالارهاق وسرعان ما كانت تندس في فراشها. وعند الصباح تجاهلت الثوب القرمزي المتكوم على الأرض والذي كان يوجه إليها الاتهام، وخرجت إلى عملها. وطوال النهار، كانت تجاهد عبثاً في أن تركز اكثر من نصف ذهنها على عملها.

ولم يبارح ذهنها ما حدثها به ادوارد عن العهد الذي كان أخذه على نفسه بأن لا يقود السيارة وهو مستاء عاطفياً. لقد كانت ديانا حدثتها عن قَسَمْ ابن البندقية. إذ ان الحنث به كان غير ممكن، وهذا يعني أن ادوارد كان مجرداً من الشرف اكثر مما كانت تتصور... أم أنه كان صادقاً، وهذا يعني أنه لم يكن يقود سيارته ليلة مقتل اختها؟ رغم أنها رأته بنفسها...

ولكن جهودها وهي تحاول فك رموز ذلك، قطعها عليها معلم مهتم بمعرفة عدد المرات التي كان احتجز فيها آدم سولتري في المدرسة كعقاب. فامضت بعض الوقت تشرح له بأنه ربما كان من الأفضل أن يخففوا الضغط عن آدم مادام يجد صعوبة في ايجاد مكان يدرس فيه خارج المدرسة. وبينها وبين نفسها أخذت تتساءل عما إذا كان من الأفضل

ان تخبر ادوارد بأن غرفة في مركز الاحداث تخصص للمطالعة، قد تكون فكرة حسنة.

«كارولين؟»

«ماذا؟»

كان المعلم ينظر إليها بطريقة غريبة، وأدركت كارولين أنها كانت تحدق في الفضاء، فقالت: «آه، اني آسفة، انني...»

قاطعها المعلم باسماً: «نعم، سمعت بالخطبة.» وأخذ ينظر إلى الخاتم في اصبعها والذي كان بعضهم قد نصحها بأن تعلقه بشريط حول رقبتها، وكان هو يتابع قائلاً: «اظنك كنت مجنونة قليلاً. هذا جرس الانصراف يقرع. سنكمل الحديث غداً.»

قالت: «آه، بالتأكيد.» وسرت إذ ان شخصاً واحداً على الأقل يظنها مجنونة. وهي نفسها وصلت إلى قرار بأنها لا بد فاقدة العقل إذ تقوم بترتيبات بالنسبة إلى مركز الاحداث. فقد كان هدفها هو أن تعمل على رحيل ادوارد قبل عودة أمه. ومع هذا فانها لا تستطيع ان تنكر أن تزويده للتلامذة المحرومين بتسهيلات جمة قد اعجبها كثيراً. واغمضت عينيها شاعرة بكرب بالغ. لقد تملك ادوارد قلبها. وهي تريده أن يبقى رغماً عن علمها بأن ذلك سيسبب لديانا الانزعاج والمرض. فهل هي انانية إلى هذا الحد؟

اكملت عملها اليومي دون حماس. انما بعد ذلك، طرأت على ذهنها فكرة نيرة. وبدلاً من أن تذهب للتسوق بالسيارة، أمضت بعض الوقت في تنظيف دراجتها البخارية التي كانت هجرتها منذ حيازتها على أول سيارة اهداها

إليها جدها بعد ترميمها واصلاحها. ولم تكن الدراجة بحالة سيئة. لا بد ان يكون معظم الناس الذين كانوا رأوها تقودها طيلة الستة أشهر القصيرة تلك، قد نسوا ذلك، وهكذا ستتملكهم الدهشة لرؤيتها ترتدي السترة الجلدية... هذا إذا كانت ماتزال تناسب قياس جسمها.

وتملكها السرور وهي تطوف أرجاء المدينة باحثة عن ادوارد، لما بدا عليه شكلها الذي تضخم بملابسها الجلدية تلك. وفي النهاية عثرت عليه يلاعب ولداً بادي الالفة، فوقفت عند المنعطف والدراجة مازالت تهدر وذلك في اللحظة التي كان ادوارد يودع الولد باسماً ثم يستدير ليعبر الطريق.

ألقى نظرة ناحيتها ثم قطب حاجبيه. وببطء، فكت رباط الخوذة تحت ذقنها، ثم خلعتها نافضة شعرها وهي تقول: «انه أنا.» واغرقت في الضحك وهي ترى عدم قدرته على الكلام. ولكن لم يكن في ذلك ما يدهش. فبدلاً من السيارة المتعارف عليها، كانت تجلس على دراجة بخارية. وهتفت به: «ادوارد، أتذكر؟ اننا مخطوبان.»

قال بازدراء وقد تمالك نفسه بسرعة تدعو إلى الاعجاب: «نعم، وقد هذيت انت امام نصف سكان اورنتي. نعم، انني اذكر، هل هذه الدراجة لك؟»

فأجابت: «نعم. وهي عندي منذ سنوات.»

فقال برصانة: «انني أذكر ذلك تماماً.» واخبرتها عيناه أن اكثر ما تذكره هي اوقاتهما المرحة عندما كانا يستعملانها في مواعيدهما.

عادت تبتسم قائلة: «الا تراها رائعة؟»

أجاب: «انها رائعة حقاً. هل تحبين الملابس الجلدية؟»

أجابت وهي تخلع السترة الجلدية: «ان الجو حار نوعاً ما الآن، ولهذا وقفت.» لقد افسدت ردة فعله، المرح الذي كانت تشعر به، كان من المفروض أن يشعر بالذعر. وسألته وهي تحملق فيه ببراءة: «انك لا تظن انني افسدت شخصيتي بمظهري هذا، أليس كذلك؟»

قال: «ان سرعتها الطائشة في الطرق هي التي يأتي من ورائها الخطر، وليس فقط من المشاة. كما ان تلامذتك سيراقبونك دوماً، ومع هذا يبدو عليك الحماس. ان لدي فكرة. خذيني معك في نزهة، ثم نمر إلى بيتك حيث نحضر بعض ما نحتاج للذهاب إلى الشاطىء، ثم تأتين معي إلى منزلي للعشاء. ان عليك ان تتعودي على المكان الذي سنقيم فيه حفلة الاستقبال. وبهذا ستبدو عليك الدراية الكاملة.»

كان هذا العرض اجمل من أن ترفضه. فتمضية بعض الوقت على الشاطىء سيكون رائعاً، وكذلك التجوال في الحدائق.

أجابت: «لا بأس.» وكان السرور يغمرها لهذه الفرصة التي سنحت لتتباهى بركوبها الدراجة البخارية. ان كل ما كانت تريده هو اكتساب سمعة تتسم بالطيش.

كان تجوالها في أنحاء المدينة وخلفها ادوارد، عملاً لم تكن تريده ان يتكرر بأية حال، خصوصاً وأن خطتها في أن تذهل الناس لم تحظ بأي نجاح. ذلك لأن كل شخص رآها كان يبدو عليه السرور لتخليها عن صورتها الطيبة الأولى لكي تكوّن لنفسها صورة جديدة. وكان اجماع الآراء على أن ادوارد يخرجها الآن من سجنها الداخلي ذاك.

عندما وصلا إلى بيته، التفت إليها ضاحكا وهو يقول:

«انك رائعة. اتعلمين ان كل من في المدينة أصبح يتحدث عنا؟ انهم يعجبون لهذا الحب الشاعري الذي يربط بيننا بعد كل تلك السنوات، وان الحب قد انتصر رغم كل ما حدث. وبعضهم شبهنا بروميو وجولييت.»

قالت بمرح: «انه شيء يثير الغثيان.»

قال هازلاً: «انك بحاجة إلى اشياء كثيرة، ولكن نزهة على الشاطىء قبل كل شيء كما وعدتك. تعالي من هذا الطريق.» وقادها حول مدخل القصر الضخم ماراً ببناء زجاجي لحفظ النباتات، كان مليئاً بنباتات المناطق الاستوائية. فتوقفت كارولين عنده تستنشق شذاها العطر. كم ستحبها ديانا. واسرعت في سيرها مجتازة ممراً مسقوفاً بالأشجار المعرشة.

قالت: «ان الجمال هنا يحبس الأنفاس. كنت قد نسيت مبلغ جمالها.»

كان المرج الأخضر يمتد أمام المنزل. كسجادة خضراء موشاة. وقالت: «ان لي علاقة بهذا المنزل فقد كان جدي الأعلى سونان بلايد يعمل عند آل كولبن.»

فقال: «أحقاً؟ انني افكر في شيء لأجلك كذلك اثناء وجودك هنا.»

فقالت بسرعة تذكره: «ولكننا نتصنع المودة، ونتظاهر بالحب والانسجام، فأية نظرات حلوة تنالها مني انما هي زائفة. ان تجاوبي وشعوري نحوك هو، في الواقع، كتجاوب وشعور هذه الاحجار الرخامية الموضوعة في فجوات الجدران.»

همهم ساخراً: «أووه...»

حملقت فيه لحظة، ثم تبعته إلى حيث الأشجار المثمرة ومن خلفها كان هناك مرعى للخيل انتشرت فيه الجياد ترعى. فسألته: «أهي لك؟»

أجاب: «انها لي.» فحنت رأسها تفكر في أنه ذو ثراء حقاً. وتمتم بلهجة بدا فيها الهزل: «من هذا الطريق. إسبقيني وسألحق بك بعد لحظات.»

بعد ذلك، جلسا بكسل في أشعة الشمس، يرشفان عصير البرتقال الذي احضره لهما خادم صقلي. وفي هذا الجو الشاعري والدفء شعرت كارولين بالاسترخاء وابتدأت تثرثر معه كما اعتادت في الأيام الخوالي.

نظرت باهتمام إلى المنزل ذي النوافذ الخضراء، ومداخنه الدقيقة الصنع.

قال: «اتذكرين كم كنا نحسد جوليا لحياتها هنا؟»

فارتسمت على فمها ابتسامة باهتة. ما كان له ان يأتي على ذكر ذلك بعد أن اصبح اكثر ثراء منها ومن والديها. وقالت بتوتر: «كان المنزل خالياً من الحب. لقد كانت تفضل بيتنا بما يحويه من فوضى وحنان.»

قال بلطف: «إنني أنوي أن املأ هذا المنزل بالحب.»

أجفلت وقد ذعرت لقوله هذا، بينما تابع هو يقول: «اننا جميعاً نفتش عن مكان نكون فيه سعداء لنغرس فيه جذورنا ويكون لنا موطناً. وقد كنت دوماً اعلم اين سيكون موطني، انه هنا، مع زوجة تحبني، واصدقاء وأسرة وأولاد.»

شهقت بأسى قائلة: «أولاد؟»

قال: «نعم، سيكون لي نصيبي منهم يوماً ما.»

برح بها الألم، وكأن شخصاً قد قطع لحمها بسكين، ما

تركها تعاني من الضعف. والارتجاف وهي ترى ان لا مفر من مستقبل له هنا.

قالت بصوت مرتجف: «اظن ان علي ان اذهب الآن.» وقف ونظر في وجهها ما جعلها غير قادرة على إخفاء دموعها. وتنهدت بأسى للحب الذي لن تتمكن أبداً من الافصاح عنه.

تدفق سيل كلمات رائعة باللغة الايطالية من فمه وهو يحدق فيها، ثم همس بصوت أجش: «كارولين...»

توجها إلى داخل المنزل فأخذت تحدق في الستائر المطرزة، وفي السقف المزخرف، وفي الثريا البلورية.

السقف العالي الفسيح، السلم المصنوع من خشب الماهوغانا الثمين، اللوحات الرائعة، الأزهار، الستائر، التحف، الأرائك.

جلس على أريكة وقال بلطف: «ما أروع جمالك، يا كارولين.»

ابتعد عنها ووقف عند النافذة فتملكها الارتباك. وامتلأت نفسها شعوراً بالعار والمذلة. وعندما استدار نحوها، انكمشت في مكانها وهي ترى البرود يسيطر على ملامحه.

قال لها: «لقد سبق وقلت لك ان تصرفك في محل المجوهرات يستحق استجابة صحيحة.»

أدركت، وقلبها يغوص بين ضلوعها، أنه انما كان يعاقبها فقط. كان يريدها، لا شك في ذلك إذ لم يكن من الممكن اخفاء مشاعره، ومازال كذلك، ولكن الانتقام كان مقدماً عنده على المشاعر. وجمد الدم في عروقها، لقد حرم نفسه من الاستمتاع بلقائهما، لكي يرضي حاجته إلى الانتقام. لشد ما هو قاس. ودون أن تفوه بكلمة، نهضت عن

الأريكة ومشت نحو الباب، ولكنه قفز نحو الباب يسده بجسمه. فقالت له: «دعني اخرج.»

أجاب بحزم: «بالتأكيد، انما أولاً، عليك أن تكوني متعاونة بسلوكك فلا تعرضي طموحاتي للخطر. انني اعرف ما الذي كنت تقومين به. أتظنينني غبياً؟ انني اعلم كيف يعمل ذهنك وبماذا تفكرين. ان بامكاني أن اهزمك بالدهاء أو بالصراع وذلك في أي وقت. انك لن تنكثي وعدك لي. عديني الآن بانك ستبذلين كل ما تملكين في سبيل انجاح هذه الخطبة المؤقتة، وإلا فانني أقسم بأن اتصرف معك بشكل يجعلك غير قادرة على النظر إلى أي رجل آخر بعدي.»

ارتجفت قدماها وقد اوهنهما الخوف، وشعرت نحوه بالاشمئزاز، والخوف.

الفصل التاسع

قال لها: «سأوصلك إلى بيتك.»

فأومأت بالقبول بايمائة بسيطة من رأسها، وإذا بها ترى ما ارتسم على ملامحه، فذهلت. انه الحقد.

الحقد؟ ولماذا؟ وتملكها الارتباك. حاولت أن تفهم، ولكن عقلها، كما تعقّلها، لم يعد موجوداً. وفي السيارة لم يكلم احدهما الآخر.

كانت يده على القفل عندما فتح الباب فجأة فكادت تقع بين ذراعي جدها المذهول.

فشهقت وسألته: «ديانا.»

فأجاب: «انها ليست هنا. ما الذي...؟ كارولين... هل هذا...»

وإذ ضمها جدها إلى صدره، شعرت بصدمته لدى معرفته لادوارد. وتوهج وجهها رعباً وقالت بتعاسة: «نعم. انه ادوارد. انني مخطوبة له، وأنا أحبه.» ونظرت إلى وجه جدها الحبيب وفي وجهها ضراعة مستميتة وهي تقول: «انني أحبه، يا جدي.»

ضاقت عينا الجد بدهاء، ثم قال عابساً: «ادخل.»

نظر ادوارد إلى عينيه مباشرة ثم قطب حاجبيه وهو يقول بحزم: «انها متعبة.»

حملق الجد فيه غاضباً وقد بدا في ملامحه، اعجاب حاقد، وقال: «انك انت الذي ستتكلم إذن.»

أجاب ادوارد بتهذيبه المعتاد نحو كبار السن: «حسناً جداً، يا سيدي. سأفعل.»

وسألته كارولين وهي تضغط على جبينها بيد ترتجف: «لماذا عدت؟ هل ديانا...؟»

قاطعها قائلاً: «انها في أمان مع أليكسا، في سامروت في روكبورت. لقد كنت قلقاً بشأنك، فجئت لأرى أحوالك. ولقد انتظرتك ساعات.»

قال ادوارد: «آسف لكونك وحدك.»

فأجاب: «كلا. أبداً. فقد كنت مشغولاً ببيع الكاراج.» وأشرق وجه الجد بالابتسام وهو يقول هذا، فهتفت وقد غمرتها البهجة فجأة: «آه، يا جدي.» وتألقت عيناها في وجهها الشاحب. ها انها قد تحررت. لم يعد بامكان ادوارد ان يبتزها بعد الآن. ان بامكانها أن ترحل مع جدها لفترة، مبعدة ديانا عنه... ودار رأسها وهي تفكر في كل الاحتمالات... وسألت جدها بلهفة: «اخبرني، من هو الشاري؟ وما الذي سيحدث؟ هل هذا مؤكد؟ ماذا عن العمال هنا؟ هل سيحصلون على عمل؟»

فأجاب جدها متذمراً: «هكذا انت، تفكرين في كل شخص ما عدا نفسك.» واجلسها بحزم على مقعد في غرفة الجلوس. فوضعت يدها على جبينها، متعبة، مرتبكة، مرتجفة.

سألها ادوارد باهتمام: «هل أنت بخير يا كارولين؟»

نظرت إليه بسرعة ومرت لحظات قبل أن تجيب وهي تخفض نظراتها: «نعم.» ربما كانت هذه آخر مرة تراه فيها. وتساقطت دموعها بصمت.

قال الجد الذي كان يمعن النظر في وجهها: «لا تبكي يا حبيبتي.» وابتسم وهو يربت على كتفها متابعاً كلامه: «ان كل شيء يسير بشكل ممتاز. فالعمال سيبقون في عملهم، وقد وقعت عقد البيع وانجزته تماماً ولن يستطيع أي انسان ان يسلبني إياه. وأي ثمن؟ لقد اصبحنا اغنياء. ويمكننا الآن ان نشتري منزلاً بحديقة.» ونظر إلى ادوارد قائلاً: «انك لن تتسبب في أي إزعاج لأمك، أليس كذلك؟ انها لن تقبل بأن تراك، وهذا هو الأمر.»

قال ادوارد بهدوء: «اعلم هذا.»

شعرت كارولين بتغير في لهجته أثار قلقها. ومسحت دموعها بقفا يدها، فمال ادوارد إليها يناولها منديلاً أبيض نظيفاً مسحت به دموعها وهي تغالب رغبة كانت تدفعها إلى شكره. وبدلاً من ذلك، رفعت رأسها بشجاعة. لقد تحررت منه الآن.

قالت محاولة أن تظهر حماساً: «إنه خبر... عظيم.» ها قد تحققت احلامهما، فلماذا هي لا تغني من الفرح؟ وتابعت تقول: «ومن... من هو الشاري؟»

فكر جدها قليلاً، ثم قال: «انه وكيل رجل اعمال مختلط الجنسية...»

قاطعه ادوارد بهدوء: «انه وكيلي أنا، انني أنا رجل الأعمال...»

التفتت كارولين إليه بعنف تسأله: «انت؟»

أجاب ببرود بينما كانت عيناها تتسعان اكثر فأكثر: «لقد طلبت من وكيل اعمالي أن يقدم هذا العرض، فالكاراج الآن قد أصبح ملكي.»

قال الجد: «ادوارد... أي محتال...!»

قاطعه هذا: «سأشرح لك الأمر يا سيدي. كارولين، يبدو عليك الارهاق، فاذهبي إلى فراشك، فأنا أريد أن اتكلم مع جدك عن الترتيبات، وأظن أن لديه بعض الأشياء يريد أن يحدثني عنها.»

قالت بحدة: «وكذلك أنا.» كانت عيناها تلتمعان وجسدها يرتجف من الغضب، والرغبة في إلقاء الأسئلة وهي كثيرة. ما الذي جعله يشتري الكاراج فيفقد بذلك إحدى وسائل ابتزازه؟ وتابعت تسأله بعنف: «لماذا فعلت هذا؟»

فأجاب وفي عينيه نظرة تحذير: «يا عزيزتي، اننا مخطوبان.» وكان التعبير الذي بدا على ملامحه يعني ان عليها أن تتذكر هذا، بينما تابع قائلاً: «انني رجل اعمال وأرعى عائلة، فكان هذا تصرفاً عملياً مني. جدك أراد البيع، فمكنته من هذا.» وابتسم متابعاً: «وهذا ما أحب القيام به... أن اجعل الناس سعداء.»

فقالت وهي مازالت ترتجف من الغضب والارهاق: «بل انك اردت ان تشتري تعاطف جدي معك.»

قال جدها وقد بدا عليه فجأة كبر السن والضعف: «أرجوك، يا كارولين، أظن من الأفضل أن نتحدث، أنا وادوارد على انفراد. ان الحق معه، فالتعب والشحوب يبدوان عليك، وامامك يوم طويل في المدرسة غداً. ان لي من كبر سني وحكمتي ما يكفي لكي اعرف كيف أواجه الآخرين. إذهبي إلى فراشك يا حبيبتي.»

أخذت تحدق في الرجلين وقد بدا التمرد في ملامحها، ولكنه كان تمرداً واهناً. لقد كان من عادتها ان تصر على

تنفيذ مشيئتها، ولكنها هذه الليلة كانت متعبة جداً. فقالت بحزم: «أريد أولاً كلمة واحدة مع ادوارد.» ثم سارت إلى القاعة، وعندما تبعها، قالت له ببرود: «لا تظن أن ما حدث بيننا هو أكثر من مجرد غلطة. انني احتقرك يا ادوارد.» قالت ذلك بازدراء، شاعرة بالكراهية تجاهه. وتابعت تقول: «انني سأستمر في هذه المسرحية إذا كان علي ذلك، ولكنني ساتملص منها عند أول فرصة تسنح لي! وتأكد من أنني في اللحظة التي لا يكون علي فيها أن اتألم من معاملتك الوحشية المثيرة للإشمئزاز، فسأكون حرة في أن أرقص وأغني واحظى بشيء من السعادة في حياتي مرة أخرى، لأنك أنت الذي مزقت كل سعادة شعرت بها في حياتي.»

وبكبرياء، وهي تعجب من تمالكها لنفسها، ادارت ظهرها لادوارد الذي وقف متبلداً، وابتعدت متوجهة إلى غرفتها حيث اندست في فراشها.

في الصباح التالي كانت تحرك السكر في قهوتها وهي تستمع، فاغرة الفم من الدهشة، إلى جدها وهو يقدم إليها تهانيه. وسألته قائلة: «هل أنت مسرور حقاً من خطوبتنا هذه؟»

أجاب: «نعم. انه رجل طيب، يا كارولين. أما الماضي فقد مضى وانتهينا منه، وقد نال ما يكفي من عقاب.» وقطب حاجبيه متابعاً: «وربما اكثر مما ينبغي. وأنا أريد أن يعلم كل شخص في مدينتنا هذه انني خلفه اسانده مئة بالمئة، وهكذا، فأنا سأعمل معه بشكل جزئي.»

هتفت محتجة شاعرة بأنها مغدورة: «ماذا؟ لماذا؟»

أجاب: «لقد اخبرتك ان حلمي هو أن...»

قاطعته قائلة بمرارة: «آه، انه يحقق الاحلام على مستوى واسع.»

قال يؤنبها برقة: «هذه ليست عادتك. انني سأصفح عنك حيث انك مجهدة. انه ينوي ان ينشيء في هذا الموقع هنا، بما في ذلك أرض دالبن، محلاً رائع الجمال لكل ما يتعلق بالسيارات، يحوى قاعة لعرض اجمل السيارات الكلاسيكية التي رأيتها في حياتك. رولز رويس، بنتلي...»

قاطعته بجفاء: «لقد سبق وسمعت هذه القائمة.» وعبست لحماسه هذا. لقد اشترى ادوارد جدها. ما أشد حذقه وهو يقدم إلى جدها كل ما يحتاجه.

وتابع جدها يقول: «انني مقبل على بعض المسرة في شيخوختي هذه، ان ادوارد شاب عظيم، انك محظوظة لنسيانكما، انتما الاثنين، الماضي ولم تدعاه يقف عقبة في طريقكما.»

تنهدت قائلة: «انني أقر بالهزيمة.» لقد ربح ادوارد جدها كلياً، كان هذا شيئاً غير معقول، وتابعت تقول: «وماذا عن أمه؟ ألا تعرف ما يحل بها إذا هي سمعت اسمه همساً؟ انها ستكون بحاجة إلى عناية طبية.»

نظر إليها عابساً ثم قال: «لقد اخبرت ديانا، بعد اتصالك الهاتفي ذاك، بأنك خطبت، فأخذت ترتجف. انها تحبك يا كارولين ولا تريد لك سوى الخير، فعليك أن تبذلي جهدك باقناعها، لأن هذا هو الصواب. انك تعرفين طرق التصرف معها، وتدركين الحد الذي تقفين عنده، ان بامكانك القيام بذلك لو حاولت، وأظن ان عليك ذلك.»

قالت بضعف: «أواه، يا جدي. وإذا... إذا أنا لم انجح؟»

أجاب: «سنعالج ذلك الموقف عندما نصل إليه. ان علينا، على أسوأ الفروض، ان نتقبل ذلك وتبقيها بعيدة عن هذه الناحية من المدينة ويكون علينا، عند زواجك، ان نقسم حياتنا إلى قسمين.»

لهثت قائلة: «زواجي؟»

ابتسم لها بحرارة قائلاً: «كنت اعلم، عندما كنتما صغيرين، مقدار الحب الذي كان يجمع بينكما. ما كان اجمل هذا، فأنت لم تكوني تنظرين إلى فتى آخر. وما حدث بعد ذلك كان فظيعاً. كان كارثة بالنسبة لكما أنتما الاثنين. ولكن... انني لم اخبر احداً من قبل بما سأقوله الآن، وهو أنني اتساءل احياناً عما إذا كان ادوارد صادقاً عندما قال ان جوليا هي التي كانت تقود السيارة. لقد كان يشتغل عندي، وقد سال عرقنا معاً اثناء قيامنا بالأعمال الصعبة. انك لا تعرفين حقيقة الناس إلا في الأحوال الصعبة، وأنا لم أعرف شخصاً اكثر نزاهة منه، ولا أكثر استقامة.»

نظرت كارولين إليه بعينين بدا فيهما اللوم، حتى جدها يخدعها، وقالت: «ولكن الشهود الكثر...»

قاطعها متنهداً: «اعلم، اعلم، من الغريب انني كنت اتحدث إلى ديانا، اثناء هذه العطلة، عن الأسرة والأولاد، أملاً في تحريك عقلها. وأظنها ابتدأت تتذكر اشياء قليلة عن ادوارد. ان عليك ان تتعهدي ببذل جهدك في هذا السبيل. وأنا من ناحيتي سأحاول قدر امكاني. وهذا كل ما بامكاننا عمله. انها تريد أن تقابل خطيبك، وقد تتذكر انك مخطوبة عند عودتها. وإلا، فإن علينا أن نحاول هز ذاكرتها فنبدأ

بالحديث عن حفلات الزفاف، ثم تخبرينها بأن ادوارد قد عاد، ونرى بعد ذلك ما يحدث.»

أبعدت كارولين عنها فطيرة الأناناس، شاعرة بالغثيان لهذه الفكرة. ربما هو على صواب إلى حد ما. ولكنها ترفض ان تعرض صحة ديانا الهشة للخطر لأجل ادوارد، مهما كان ظن الآخرين به.

وأخيراً قالت بنفور: «حسناً، سأحاول. انني سأبذل جهدي يا جدي. ولكنني لن اضغط على ذهنها.»

قال: «انك ستقومين بذلك لأنك فتاة طيبة وسأقيم لك عرساً لم ترى مثله. انت وادوارد، ستتزوجان لتعيشا، بعد ذلك، العمر معاً. انني أعرف مسبقاً أن هذا ما سيحدث لأنكما، انتما الاثنين، ينظر الواحد منكما إلى الآخر بحب بالغ ما جعلني اصاب بالذهول. وأدعو لكما بالتوفيق.»

قالت وقد اختنق صوتها بما تشعر به من تعاسة: «عليّ أن أذهب إلى العمل الآن.» وقفزت عن كرسيها مسرعة إلى غرفتها.

لماذا دهاء ادوارد يعمي عيون الناس جميعاً؟ وكيف يحدث أن اكبر الناس عقلاً وحكمة، مثل جدها، لا يرى أبعد من الابتسامة السهلة والكلمات المعسولة؟ إنه يتملق الناس. انه يقول لهم ما يحبون سماعه وبالتالي يظنونه شاباً رائعاً، بينما هو رجل سيء يمكنه خداع اصلب الناس بابتسامته تلك إذا شاء. وبغضب عنيف، كانت تهبط السلم وهي تقول لجدها كلمة الوداع، عندما توقفت عند الباب فجأة. لقد كان ادوارد واقفاً هناك كالثلج برودة، وقد ارتدى بذلة عسلية اللون من الكتان أبرزت قامته الرائعة. فألقت عليه نظرة

سريعة خفق لها قلبها، قبل أن تندفع نحو الدراجة البخارية.

قال بحزم: «انني سأوصلك إلى عملك. هكذا يفعل المحبون، انهم لا يطيقون الابتعاد عن بعضهما البعض اكثر مما يضطرون إليه.»

ردت عليه بحدة: «انني لن اذهب مباشرة إلى عملي، فأنا ساذهب لرؤية روي فروست.» ونظرت إليه تتحداه ان يمنعها، وهي تتابع قائلة: «انه احد الشابين اللذين طردتهما أنت من المدرسة، وهو مصيبة مثلك. لا بد ان الأمر سيكون مؤثراً لأنه يسكن في بيتك القديم.»

رفع حاجبه قائلاً: «لقد تذكرت. انني سآخذك إلى هناك. فأنا خطيبك المحب، تذكري هذا.»

فقالت: «لن استطيع التوسع مع روي إذا كنت أنت موجوداً، انني احاول مساعدته...» وترددت وهي تفكر في أنه ربما يستطيع ان يقدم إليه عملاً... فإذا هو رأى بيته القديم، وسمع مبلغ صعوبة انسجام روي مع جدته، ربما عندذاك، يشعر بشيء من العطف تدفعه إلى أن يكون كريماً ولو مرة في حياته. وهكذا قالت ببساطة: «لا بأس، ها قد هزمتني.»

بعد أن قطعا مسافة قليلة، أشار ادوارد إلى بناية تبعد عدة أمتار عن بيته القديم وهو يقول: «سأقف هناك بجانب ذلك المصنع.»

قالت: «حسناً. ان علي الآن ان احاول اقناعه بأن يترك آدم وشأنه. هذا من بين أمور أخرى.»

قال: «حظاً سعيداً. تفاءلي بالنجاح.» وأوقف السيارة، ثم ادار الراديو واستند إلى الخلف.

وعندما خرجت من بيت روي، بعد حديث كئيب غير ناجح، لم تستطع أن ترى السيارة في البداية، ذلك لأن ادوارد كان قد نقلها إلى تحت شجرة بلوط.

سألها بهدوء: «ماذا كانت النتيجة؟»

أجابت متنهدة: «غير حسنة. انني في حيرة من أمري. ان آدم فتى عاقل، وطموحه الخفي هو في أن يكون طبيباً، ولكن روي...» وهزت كتفيها قائلة بضعف: «انني بحاجة إلى مكان اتنفس فيه قبل أن أبدأ بمعالجة المشاكل في المكتب. هل بامكاننا أن نجلس هنا لحظة؟»

أخذت تتفحص الشارع عابسة. بيت تروتسكي القديم، حيث يعيش روي الآن، كان هو البيت الوحيد الذي لا يحتاج إلى ترميم، فقد كان والدا ادوارد قد حافظا عليه جيداً وبقي كذلك. وانتقلت عيناها إلى ادوارد. كان ينظر إلى البيت وكأن الأشباح تقطنه.

سألته: «هل ترى هذا صعباً عليك؟»

أجاب بهدوء: «انه زمن مضى منذ وقت طويل. إنّ حياتي الآن مختلفة، حتى انني لا أكاد اصدق ذلك. تلك هي الجدة، أليس كذلك؟»

أدارت رأسها لتنظر ثم قالت: «نعم... وكذلك روي، يحمل مكنسة.» ودهشت وهي ترى روي يحتضن جدته يرفعها عن الأرض مازحاً، ثم يبدأ بكنس مدخل البيت.

ومن مكانهما حيث لم يكن أحد يلحظهما، اخذ ادوارد وكارولين يراقبان روي وهو يقوم بأعمال خفيفة متعددة... وعندما كان يصلح السياج، كانت جدته تجلس على الكرسي الهزاز على شرفة المدخل وهي تتحدث إليه.

وكان روي يضحك احياناً، وأحياناً جدته. وبدا كل هذا امام ناظري كارولين، مشهداً بهيجاً للحياة العائلية.

قالت بهدوء: «كم أود لو اعثر لروي على عمل، انني في الواقع، أود ايضاً لو أجد عملاً لكلارك وآدم. ادوارد، انني أود أن يشتغلوا مع جدي في الكاراج...»

قال: «هذا غير ممكن.»

التفتت إليه بلهفة تحاول اقناعه بقولها: «ربما في هذا نجاحهم. فان آدم بحاجة قصوى إلى التدريب لنيل شهادته. فهو يدرس الميكانيك وعلاماته المدرسية سيئة. وجدي حاذق جداً في مسألة التدريب.»

قال: «كلا.»

سألته بحذر: «ولكن الن تقدم اعمالاً بديلة لعمال الكاراج؟ ان جدي دوماً...»

أجاب: «كلا، فأنا سألغي ذلك.»

صرخت بذعر: «هذا ليس باستطاعتك، فقد اصبح شيئاً متعارفاً عليه. فان الطلاب والعمال يعتمدون على الأعمال البديلة، هل هذا نوع من انتقامك الحاقد؟»

حول عينيه اليها قائلاً ببرود كالثلج: «كلا، انني لا أريد أن اتورط في اعمال بديلة أو مع أي انسان تتعاملين معه. وبصراحة انني افضل على ذلك ان اقفل المحل بالكامل.»

شهقت قائلة: «لا استطيع تصديق هذا. ان لدي فتياناً مع أبي كانوا وجدوا عملهم هذا بكل صعوبة، فهم جميعاً مجانين بالنسبة إلى ميكانيك السيارات. فتعلمه يعني ارباحاً ضخمة. ومهارة جدي...»

قاطعها بحدة: «كلا، ألا تسمعين ما أقول؟ انني لا اريد أي شيء يتعلق بك.»

حملقت به بفزع. ان برنامجها بأكمله... كذلك حاجة تلاميذها، كل هذا قد تعرض فجأة للخطر. وقالت وهي ترتجف: «اعتبرها خدمة إذن. خدمة لي أنا.»

قال بغضب: «انني لا أدين لك بشيء.»

أجفلت، ثم قالت: «ولكن، حتى وظيفة سائقي سيارات حفلات الزفاف. لا اظن في هذا أي بأس.»

قال ببرود: «هذا ممكن فقط إذا هم تقدموا بطلبهم هذا إليّ أنا مباشرة. انني ساحضر ابناء عمومتي ليستلموا اعمال الكاراج. فأنا لن اكون بحاجة إلى طلاب أو طلاب سابقين.»

احمر وجهها وقالت: «سيكون هناك اعتراضات كثيرة على تصرفك هذا. انه شعور سيء...»

قاطعها قائلاً: «ان بامكاني التصرف. وأنا لن اقدم الغرباء على الأقرباء.»

قالت بنزق: «ان هذا سيعيق قضية رد الاعتبار اليك الذي تسعى إليه.»

قال ببطء: «ان هذا الموضوع لن يثار قبل ان انهي بناء المجمع. وإلى ذلك الحين اكون قد انهيت ترسيخ سمعتي.»

قالت: «إذا انت أخذت روي وكلارك للعمل الآن، فستنال الكثير من الاعجاب. ان النقود ستنفعهم، ألست مستعداً لمد يد المساعدة اليهم لكي ينهضوا بأنفسهم من وهدة الفقر؟»

نظر إليها بتهكم حاقد، وقال: «انك تعرفين كيف تضربين على الوتر الحساس، أليس كذلك؟ انك على

صواب. لسوء الحظ، فأنا اهتم بذلك، بشرط ان تكوني انت الصلة بينهم وبين جدك، فأنا لا اريد ان اتعامل معهم. بامكانك ان تخبريهم بأنني سأجري لهم اختباراً.»

قالت: «وماذا عن آدم، بالنسبة إلى شهادته؟»

قال بضيق: «لا تتعدي حدودك، انني لا اريدك ان تتدخلي باعمال الكاراج. وأنا على الأخص لا أريد أي شيء يتعلق بك ماعدا الضروري جداً. هل هذا مفهوم؟»

تمتمت: «نعم.» ثم رفعت رأسها بكبرياء، انه لم يعد يهتم بها الآن بعد أن وصل إلى جدها. واكتسحتها موجة من الاستياء والاحتقار العميق له، وقالت تجيبه: «ولا أنا أريد أي شيء يتعلق برجل بارد القلب، بعد الآن.»

قال ببطء وقد بدت في عينيه نظرة خطرة: «ان هذا الوصف ينطبق عليّ تماماً، والأحسن أن تتذكري هذا.»

تمتمت بصوت خشن: «انني سأتأخر عن عملي.» كانت تريد ان تبتعد عنه وعن الألم الذي يسببه لها.

قال: «لا استطيع ان أقود السيارة إلا إذا كنت هادىء الطبع.»

اطلقت آهة ساخطة وانتظرت. كانت قلقة بشأن المستقبل، كما كانت بأشد القلق بشأن وعدها بأن تخبر ديانا عن عودة ادوارد، أما قلقها بشأن ما ستكون عليه حياتها بعد ادوارد، فقد بلغ حد الرغبة في الصراخ...

قال لها ذات يوم، في وقت الغداء، وكانت تجلس بجانبه في السيارة، قال ببرود: «عندي شيء اريد ان اريك إياه.»

فقالت إذ كانت تعلم أنه قد هدد مرة بأن يحملها على اختيار كعكة الزفاف: «أرجو أن لا يكون ذلك كعكة الزفاف.

كما انني ارفض تجربة أي ثوب عروس آخر. ان ذلك يبعث في نفسي الغثيان.»

قال: «بل سيارة محطمة.»

شهقت قائلة: «ماذا؟ إذا كنت تحاول أن تؤذيني...»

قال: «أنت؟» واستدار داخلاً في طريق جانبي وقد بدا التوتر جلياً على ملامحه، وهو يقول: «هل لديك فكرة عما تفعله في نفسي رؤية حادث سيارة؟ وهذه المرة مؤلمة بشكل خاص.»

تمتمت وهي تحاول فتح باب السيارة: «انني خارجة.»

قال: «ان هذا سيفيد روي كثيراً.»

سألته: «روي؟»

قال: «لقد قام بنزهة قصيرة للمتعة وذلك في احدى سياراتي البنتلي الواردة حديثاً، وهذا ما بقي منها.»

أخذت كارولين تحدّق بهلع. لقد كانت السيارة الرمادية الفضية الرائعة الجمال قد اصطدمت بجدار بحري منخفض فتدلت فوق منحدر إلى الشاطىء يعلو خمسة اقدام. وكان تحطم مقدمتها غير قابل للاصلاح. وسألته وقد شحب وجهها: «وروي؟»

أجاب: «لقد هرب. وقد رآه أحد الاشخاص، ولم يكن قد اصابه أي أذى. فقد كان قفز من السيارة قبل ان تصطدم بالجدار، لحسن الحظ، ولكنني اتمنى لو أقتله. فقد منحته عملاً فانظري ماذا كانت النتيجة.»

قالت: «انني آسفة لأجل السيارة...»

التفت يقاطعها غاضباً: «السيارة؟ أنا لا اهتم بها مطلقاً... وانما... لقد وثقت به. لقد كنت تحدثت معه ومع

جدته. حدثته كيف بنيت نفسي بنفسي. لقد اقنعته بأن كل انسان تسنح له فرصة في حياته. لقد منحته أملاً. ولكنه خذلني.»

قالت: «و أنا؟» قالت ذلك بتعاسة وقد اذهلها ان يبذل جهده مع روي. ربما كان يرى فيه نفسه منذ عشر سنوات.

أجاب: «لن أساعدك في أمور كهذه مرة أخرى. لا أريد عمالاً فاشلين. يا كارولين، ولا طلاباً...»

قالت: «امنحه فرصة أخرى، أرجوك...»

قاطعها قائلاً: «انني لا امنح فرصاً أخرى.»

قالت: «ولكن هذا ما تطلبه منا جميعاً. ونحن نمنحك هذا، أليس كذلك؟ وإذا انت منعت الطلاب من العمل في الكاراج، فان هذا سيثير مشاعر سيئة.»

قال: «انني إذن، سأقفل الكاراج الآن، ولتنتظر حفلات الزفاف.»

قالت: «ولكن هذا يمس المدينة باجمعها. فأنا اعرف ست حفلات زفاف ستقام في العطلة الاسبوعية القادمة. ان مدينة اورنتي بحاجة إلى سيارات، وهم لن يستطيعوا تدبيرها من مكان آخر في هذه الفترة القصيرة.»

قال: «إذن، اشيعي في المدينة أن عمالي قد خذلوني وانك بغاية الاستياء من ذلك، وانك تساندني إذا أنا احضرت اقربائي فقط.»

قالت: «لا... لا يمكنني القيام بذلك.»

قال بحدة: «الأفضل ان تفعلي ذلك يا كارولين، وإلا دمرت كل ترتيبات حفلات الزفاف. اتريدين ان تضايقي العرائس السعيدات بجعل اسعد يوم في حياتهن مغموراً بالكآبة؟»

قالت بحدة: «انك تثير اشمئزازي.»

قال بهدوء: «انني سأحقق ما اريد في كل شيء، ولا يهمني كيف احصل عليه. انني اوظف اقاربي لأنني اثق بهم. انك تفهمين هذا. ساندیني، قولي انك تشعرين بخيبة أمل، ولكنك ترين أنه ليس لديّ سوى هذه الطريقة، قولي نعم.»

همست: «نعم.» لقد اثقل عليها بضغطه هذا، وشعرت بالذعر لذكائه الذي يحول كل شيء إلى صالحه. كما كانت متعبة إلى حد هائل. ان حياتها ستكون بعد الآن عذاباً. وإذا لم يرحل ادوارد عن اورنتي فان عليها هي أن ترحل، وقالت: «اريد أن اذهب إلى المنزل سيرا على الأقدام.»

قال: «افعلي ما تشائين. تحدثي إلى أمي ودعينا ننتهي من هذا الموضوع المؤلم في أسرع وقت. فقد نلت تقريباً كل ما اريد.» قال ذلك بعدم اكتراث تام، ومال يفتح لها باب السيارة دون ان يحمل نفسه عناء ابداء شيء من التهذيب لها كما هي عادته.

عادت إلى مكتبها في المدرسة لتراجع بعض الأعمال التي تركتها مكومة على مكتبها، واخذت تقلب الأوراق وقد تملكتها الكراهية اكثر من أي وقت آخر.

تصاعد رنين الهاتف، فتناولت السماعة: «نعم؟»

قال: «اين أنت؟ تعالي إلى هنا حالاً.»

ردت على غطرسة ادوارد قائلة: «في المنفى.» وكادت تضع السماعة من يدها عندما سمعته يهتف: «ديانا.»

ردت عليه صارخة: «ماذا؟»

قال: «انها هنا، في بيتي، تعالي.»

وفي لحظة قصيرة هادئة، سمعت صوت ديانا يصرخ

بهستيرية قبل ان يقفل الهاتف، وجمد الدم في عروقها. واتصلت تطلب سيارة اجرة وهي ترتجف.

قفزت كارولين نازلة من السيارة ثم ركضت نحو ادوارد وقد تملكها الذعر وهي ترى وجهه الشاحب، كان يبدو فظيعاً، وقال لها بإيجاز: «البيت الصيفي.»

ركضت وركض هو. وصرخت تسأله: «كيف؟»

أجاب: «كانت تتجول في الحديقة فرأتني، ثم...» وتعثر في طريقه، وعندما استقام مرة أخرى عاد يركض متجهاً بها نحو مصدر النشيج وهو يقول: «لقد استدعيت طبيباً. انها تريدك، فساعديها.» وبدا التضرع في صوته عندما اصبحا عند البيت الصيفي. وتابع قائلاً: «ارجوك. لا يمكنني ان اتحمل سماع ذلك البكاء. ساعديها يا كارولين.»

قالت: «أواه يا ادوارد.» كانت ممزقة المشاعر بين الذهاب إلى ديانا وبين البقاء بجانبه لتساعده هو أيضاً، وتابعت تقول: «ادخل إلى البيت، اجلس وتنفس بعمق، اصنع قهوة قوية، وساوافيك حالاً.» والقت نظرة على وجهه المعذب وارتجاف جسمه المروع قبل ان تدخل إلى البيت الصغير بكل ما امكنها من هدوء.

قالت ديانا وهي تشهق باكية: «ادوارد.» فاحتضنتها كارولين بين ذراعيها واخذت تربت عليها اثناء بكائها، وتواسيها بكلمات محبة رقيقة. وظنت لحظة انها لمحت وجه ادوارد في النافذة الجانبية. ولكنها عندما عادت تنظر، كان قد اختفى.

كانت ديانا تنشج باكية: «ادوارد، ادوارد...» وأخذت تتكلم بالايطالية، فقالت لها كارولين بلطف: «انني لا افهم

الايطالية، يا حبيبتي. لا تنهضي، ابقي هنا. ان الطبيب سيحضر الآن.»

فواجهتها نوبة جديدة من النواح، بينما كانت كارولين تشعر بالارتياح وهي ترى الطبيب الذي خدر ديانا ثم اخذها معه في سيارته إلى المستشفى. وعادت كارولين فدخلت المنزل غارقة في دموعها حيث اتصلت بجدها هاتفياً.

رد عليها صارخاً: «لحسن الحظ انها بخير. أليكسا هنا وهي تكاد تفقد عقلها لشدة القلق عليها. لقد ارادت ديانا ان تعود إلى البيت لكي ترى خطيبك وهكذا اعادتها أليكسا، ثم قالت شيئاً عن احضار بعض الزهور، وما لبثت ان اختفت. اننا سنذهب إلى المستشفى وابقي انت مع ادوارد فهو سيكون بحاجة إلى من يكون معه.»

قالت شاعرة بالخجل لكون قلقها على حالة ادوارد كان اشد: «ولكن علي ان اكون مع ديانا.»

أجابها بحزم: «بل ابقي، فهناك كثيرون حول سريرها. وإذا هي خدرت، فلن تكون بحاجة اليك. ولكن ادوارد سيحتاجك، ولا بد انه يشعر بالأسى. اتصلي في ما بعد.»

كان كل ما بامكانها تقديمه هو حبها، والأمل في أن ديانا ستعود فتتقبله يوماً ما وأن عليه أن يصبر وينتظر. ومشت مترددة إلى أقرب باب لتجد ادوارد واقفاً في منتصف الغرفة يحدق في الفراغ وكأنه دخل ولكنه لم يستطع أن يتقدم خطوة أخرى بعد ذلك.

رأت في ظهره المتوتر وكتفيه المنحنيتين، وجموده البالغ، رأت في كل ذلك الوحشة الهائلة التي كان يعانيها.

ومع هذا، عندما جاءت إلى جانبه، ورأت عينيه، اللتين لا يمكن سبر غورهما، تلتفتان إليها، شعرت وكأنه اقام بينها وبينه حاجزاً من الفولاذ. ومهما كان مقدار ما يعانيه في داخله من ألم وعذاب، فقد كان معنى نظراته إليها واضحاً، لا تقتربي.

سألته: «اتريد شاي؟» فهز رأسه بخفة، فعادت تسأل: «قهوه؟» فهمس بخشونة وهو يصرف باسنانه: «كلا.» وللحظة قصيرة، اضطرمت في عينيه السوداوين شعلة نار سرعان ما انطفأت لتعودا مرة أخرى يغشيهما الكآبة والتكتم. ثم قال بوحشية: «لا يمكنني البقاء هنا. سأرحل عن المدينة حالاً.» وعصفت بها هذه الكلمات، فتهالكت على اقرب مقعد، كتلة من اللحم والدم والعظام لا تطلب سوى شيء واحد... هو أن يبقى ادوارد. ان يظل قريباً منها فتراه احياناً وتعيش على ذكرياتها. لقد كانت تحبه اكثر مما كانت تتصور... وستستمر في حبه إلى آخر نسمة من حياتها.

تابع يقول بصوت خفيض: «ان المرأة التي احبها تكرهني. انهم يظلمونني جميعاً، وهذا يقتلني. سأرحل عندما اتمالك نفسي قليلاً. فأنا لا استطيع ابداً ان أقود السيارة الآن.»

أجفلت والألم يهز منها الأعماق. ألمه هو. ففي تلك اللحظة ادركت انه كان من العذاب بحيث كان يتكلم دون تفكير، وكان يقول الحقيقة. انه لا يقود السيارة ابداً وهو مضطرب أو غاضب. وفجأة، اتضح امامها كل شيء، ما فجر في نفسها الحياة والأمل. انه لا يقود السيارة اثناء الغضب. فهو لم يقتل اختها وابن اختها الطفل، إذن. لقد كان اقسم

بشرفه انه لم يكن يقود سيارته حينذاك. كان ثمة شخص كاذب هو غير ادوارد. انها تصدقه، تثق به. ربما ليس بامكانها ان تحصل عليه بالشكل الذي تريده، ولكن بامكانها ان تثبت براءته على الأقل.

استقرت عيناها المحبتان على جسمه القوي الشجاع، فرأت، ببصيرتها حقيقته الهشة. لقد ظلموه، خصوصاً هي، وعليها ان تصلح كل شيء ولو اخذ منها الأمر سنوات. وكان عليها أن توضح هذا. ان عليها ان تقوم بذلك. لأجله.

ابتدأت تقول: «يمكنك ان تبقى...»

رد عليها بحدة: «ليس في هذا المكان، ماذا استفدت منه؟»

قالت: «ألا يعني لك هذا المنزل شيئاً؟ أليس هو المكافأة التي ربحتها؟»

قال: «انه لا شيء بدون...» وسكت وقد كتمت عيناه المثقلتان سره.

قالت: «لقد كنت تريد الانتقام وقد حصلت عليه. الا تريد البقاء والاستمتاع بذلك؟»

قال: «لقد كنت اريد استعادة الحب الذي كنت متلهفاً إليه. الخاتمة السعيدة لنهاية الحكاية الخرافية.» ونطق بالجملة الأخيرة ساخراً.

قالت: «بامكاني تحقيق ذلك منذ الآن، امنحني فقط فرصة اسبوعين لذلك.» لقد كانت تدرك كم من الوقت كان يطلب لكي يعود إلى أمه.

مشى نحو الباب كالأعمى وهو يقول: «حتى ولا دقيقتين.» ولكنها سبقته إليه، لتقف حاجزاً بينها وبينه.

فبدت القسوة في عينيه وأخذ يزمجر بوحشية: «دعيني اذهب، يجب ان تتركيني اذهب يا كارولين.»

قالت بهدوء وعيناها في عينيه العدائيتين: «انني اصدقك، يا ادوارد. انني اعلم انك لم تكن تقود سيارتك في تلك الليلة التي ماتت فيها أختي.»

اجفل، ثم قال: «لقد فات الأوان، لقد تأخرت في شهادتك هذه عشر سنوات.»

أجابت متحدية: «ربما، ولكن إبقى هنا، في هذا البيت. ألا تستحق أمك من حياتك اسبوعين؟»

قال بغضب: «ايتها السافلة.» ثم، بعد أن جذب نفساً عميقاً تابع يقول: «انها طبعاً تستحق ذلك، اسبوعان، إذن، انما بشرط. انني لا استطيع... لا اريدك ان تقتربي مني، لا يهمني ما سيظنه الآخرون عن خطبتنا، انما لا استطيع احتمال اجتماعنا المتواصل.»

قالت وهي تبتلع تعاستها: «ولا انا استطيع.» إذا كان يكرهها إلى هذا الحد، فعليها ان تقبل ذلك. انها تمثل جزءاً من حياته يثير كراهيته. وتابعت تقول: «ليس في نيتي ان اقترب منك. ولكنني متأكدة تقريباً من ان بامكاني ان اجمعك بأمك، وبعد ذلك بامكانكما ان تعيشا حيث شئتما.»

وخرجت بعد أن لم تعد تستطيع رؤية منظر وجهه، ذلك أن اكثر العواطف الانسانية قد انتشرت عليه بكل فوضى واضطراب. الحب، الرقة، الفرح، الألم، اليأس.

لقد تعهدت بأن تساعده على أن يبدأ من جديد، اما بالنسبة إليها هي فان حياتها قد انتهت. عادت إلى دراجتها تسير بها الهوينا إلى حيث تجد في البحر والهواء ما يخفف

عنها قليلاً، ويمنحها القوة على الكفاح في سبيل تنقية اسم الرجل الذي تحبه.

وصلت إلى نقطة مقفرة في الشاطىء حيث كانت وادوارد قد اعتادا غالباً الجلوس صامتين مستمتعين بمنظر طيور البحر فوق الكثبان الرملية التي كانت تعلو كالجدار خلفها.

انها سوف تتحدث إلى والديّ جوليا اللذين كانا أدليا بشهادتهما عن الحادث وبعد ذلك إلى جوليا وكل الشهود الآخرين كذلك. ثمة في مكان ما، حلقة وصل واهية... وشخص كاذب.

الفصل العاشر

بعد ذلك بثلاثة ايام، كانت كارولين تعتلي دراجتها وقد تملكها الارهاق، ولكن قلبها كان يغني من السعادة بعد ان عثرت على الشواهد التي كانت بحاجة اليها.

سارت بها الدراجة بعيدا عن جوليا، المرأة التي كانت دمرت حياة ادوارد. كان انهيار والديّ جوليا سهلاً نسبياً. كانا يشعران بأن الايام قد غدرت بهما إلى حد لم تترك لهما مكاناً يلجآن اليه. ولكن جوليا كانت شيئاً آخر.

حاولت كارولين ألاّ تبكي لاجل صديقتها. كان عليها ان تبقى يقظة متأهبة. كانت تشعر بمنتهى الارهاق. وحسب قانون ادوارد، ما كان لها ان تقود دراجتها قط. أواه، يا ادوارد.. لشد ما عانيت.

كانت قد امضت اكثر من ثلاث ساعات في الحديث والإقناع وذرف الدموع. وكانت النتيجة تستحق ذلك التعب. لقد استخدمت كل خبرة سنواتها العملية في هدم الحواجز من كذب ورغبات مكبوتة، وذلك لكي تحصل على الحقيقة. وأخيراً، وبعد كثير من المثابرة استخلصت الإعتراف من جوليا الجادة الكتوم المرهقة. ذلك الإعتراف الذي دفع الواحدة بين ذراعي الاخرى تسري عنها وتذرفان الدمع معاً. لقد تدفقت القصة من بين شفتي جوليا كتدفق مفاجيء لفيضان كان محتجزاً.

قررت كارولين ان تتوقف عند بيتها اولاً، لتطلب من جدها ألاّ ينتظرها، ثم بعد ذلك.. إلى ادوارد.

وابتسمت سعيدة وهي تقف امام الكاراج تفكر في مبلغ السعادة التي سيشعر بها ادوارد عندما يعلم انها استطاعت اخيراً ان تصلح الامور بينه وبين امه.

إنها السادسة والنصف، وهو وقت تناول جدها العشاء. وصعدت السلم بسرعة، لتقف فجأة وهي ترى رقعة ورق امام الباب.

(ديانا مفقودة. نحن قلقون قليلاً، وهذا كل شيء.)

(التفتيش قائم حول البيت القديم. أليكسا ذهبت إلى ضفاف النهر. اتراه الهلع المعتاد؟ جدك.)

تأوهت كارولين وهي تركض لتعود فتهبط السلم، وكادت تصطدم بجسم رجل. فشهقت هاتفة: «ادوارد.» ولكنها ما لبثت ان شعرت بخيبة الامل وهي ترى ان القادم لم يكن ادوارد وإنما روي، الذي بادرها قائلاً: «إنه انا. لقد لملمت اطراف شجاعتي وجئت لاقدم اعتذاري. لقد احسن إليّ ادوارد، ولكن... لقد كان مفتاح الاشعال في السيارة فلم استطع المقاومة.»

قالت شاعرة بالاسف لعدم تمكنها من الاستماع اليه وهو يأتي نادماً على ما فعل، قالت: «روي، إنني مسرورة لعودتك، إنما ارجيء حديثك إلى ما بعد.» ولما رأت الضيق بصدها له، يبدو عليه، وتابعت قائلة: «سنتدبر أمرك. أما الآن فان ديانا قد اختفت، وأنا قلقة لأجلها. إذ من الخطر أن تكون وحدها وأنا ذاهبة للتفتيش عنها.»

فقال عابساً: «السيدة العجوز؟ إذا كنت بحاجة للمساعدة

فيمكنني احضار بعض الأشخاص للتفتيش. أين يمكن أن تكون ذهبت؟»

أجابت: «ربما إلى قصر كولبن... أو أي مكان آخر في المدينة... كذلك الشاطىء.»

قال: «حسناً، سنفتش في كل الأمكنة، فلا تقلقي، انها ستكون بخير.»

قالت: «روي، كم أنا شاكرة لك.» كان يبدو مفعماً بالمشاعر والرقة. على ادوارد أن يعيده إلى عمله. وسارت بها الدراجة البخارية هادرة. هل تذهب إلى المنزل أو إلى الشاطىء؟ الأفضل إلى الشاطىء، ذلك أن ديانا إذا كانت ذهبت إلى المنزل، فان ادوارد سيصادفها هناك. وفكرت عابسة في ما سيكون عليه الأمر لو صادفها.

وفي طريقها على الرمال، كانت تسأل كل من تصادفه عنها، طالبة منه أن يراقب مرور امرأة مسنة جميلة للغاية وربما يبدو عليها الضياع والحيرة. وكانت الشمس الآن قد مالت للمغيب وابتدأ الغسق ينتشر.

فكرت بقلق انه ربما عليهم أن يستدعوا الشرطة. وازداد شعورها باليأس. وكلما قطعت مسافة في الشاطىء الممتد امامها، ازداد قلقها وخوفها... وبدا لها الشاطىء هذا دون نهاية. وابتعدت عن المدينة.

«ما الذي تفعلينه هنا يا كارولين؟»

استدارت وهي تسمع صوت ادوارد الذي كان واقفاً بجانب شجرة صنوبر، فصاحت قائلة بعصبية: «أمك... انها مفقودة.»

قفز في الحال نحوها قائلاً: «سأساعدك.»

قالت بحرارة: «كلا. ان لدينا فرقة للتفتيش، لا يمكنك أن تأتي معنا.»

قال بصوت خشن: «لانني أتسبب بحزنها؟ لأنني صدمت عقلها الهش. هل هذا هو السبب، يا كارولين؟ هل تراها ستهرب مني؟ أنا ابنها؟» وتلاحقت انفاسه ليتبع ذلك آهة طويلة.

حملقت فيه بأسى. انها قد اصلحت الأمور بالنسبة إليه. ستخبره بذلك في ما بعد، وقالت: «ربما هذا ما ستفعله، فنحن لا نستطيع ان نجازف. ان الظلام قد بدأ ينتشر، وستشعر هي بالخوف وحدها.»

تمتم قائلاً: «ان عليّ ان اساعد انا أيضاً. لا يمكنني ان أقف متفرجاً. عليك أن تفهمي ذلك، يا كارولين. اني اقسم لك انني ساختفي عن ناظريها حالما نراها. هيا أسرعي.»

وأخذا يركضان، وكان هذا سهلاً على الرمال الصلبة الممتدة، انما كان متعباً حيث كانت ناعمة هشة. وابتدأ الوهن يزداد في ساقيها، وقالت باكية: «لا يمكنني متابعة السير.»

قال: «ارتاحي قليلاً.» وقادها إلى السياج حيث استندا إليه معاً.

اغمضت عينيها شاعرة بدفء الشمس الغاربة، وبالنسائم تداعب وجنتيها، وعندما فتحتهما، رأت ادوارد يحدق فيها بتلك النظرات الخالية من التعبير والتي تكرهها.

قالت وهي ترتجف: «ان الشمس تغرب.» وتحولت اعينهما اليائسة نحو البحر الوردي اللون. كان هناك

شخصان بعيدان يخوضان الماء إلى وسطيهما. فتصلب جسد كارولين، لقد كانت... وهمست: «انها ديانا.»

قال ببطء: «وروي، رباه، انه يجرها من البحر.» وأخذ يدفع نفسه بعيداً عن السياج وهو يترنح.

وعندما رأته يتقدم خطوة نحوهما،قالت تحذره: «كلا، لا يمكنك المجيء.»

فأطبق أسنانه بعنف قائلاً: «يجب أن اعلم ان كانت بخير.»

قالت وقلبها يهتز ألماً: «سألوح لك بيدي ان كانت بخير. فإذا كانت حالتها سيئة، فانك أول من سيعلم. انظر إنها تبدو بخير. انتظر هنا. وأنا سأخبرك عنها. أواه، يا ادوارد.»

قال: «اذهبي اليها فهي متعلقة بك، وإذا... إذا كان روي قد أنقذ حياتها أبلغيه شكري له. لقد استعاد عمله عندي. انني سألاحظ تقدمه وأتأكد من أنه يحظى بأحسن الفرص. ودعيه يعلم أنني بسببه سأمنح عملاً لأي طالب تريدين أنت أن تحضريه للتدريب.»

هتفت وعيناها تلمعان: «شكراً... يا ادوارد...»

استدارت راكضة وقد تملكتها التعاسة. وسمعته يلقي بكلمة الوداع برقة، قائلاً: «سأرحل عن اورنتي إلى الأبد.» فاستدارت إليه وهي تشهق محاولة أن تظهر حبها. ولكن لا شيء خرج من بين شفتيها المعذبتين سوى آهة خشنة، بينما كان هو يبتعد بخطوات واسعة فوق الرمال.

انها تحبه... ولكنه راحل، لكنها لا تلومه لأنه لم يكن يعلم عن الحظ الطارىء الذي واتاه لكي يرفع رأسه عالياً.

وصرخت: «ادوارد.»

فتصلب ظهره، واستدار نحوها مزمجراً بوحشية: «كلا. دعيني أذهب. اتركيني بسلام.»

كانت لهجته والطريقة العنيفة التي استدار بها على عقبيه مبتعداً عنها، تنذر بأنها النهاية. فعضت شفتها. كانت تعلم أن واجبها هو مع ديانا. وبساقين ثقيلتين وذهن غير قادر على التفكير، تقدمت مترنحة نحو الماء تغوص فيه، بينما روي وديانا متجهان نحوها.

كان ادوارد راحلاً، ولكن لديها شواهد براءته الآن ويجب أن تريها له.

وشهقت باكية تناديه: «أوه، ادوارد.» انه سيرحل نهائياً ولن تجتمع ديانا به أبداً بعد الآن. «كارولين...» هتفت بها ديانا وهي تتشبث بذراعها، ومن ثم ارتمت الواحدة منهما بين ذراعي الأخرى.

قالت باكية: «أواه يا ديانا، لشد ما كنت قلقة عليك.»

قالت ديانا: «لا تبكي يا حبيبتي. انني آسفة، كان عليّ ان انفرد بنفسي في مكان ما. فقد كان عقلي في منتهى الاضطراب.» وابتسمت لروي وهي تتابع قائلة: «وهذا الفتى الطيب وجدني حائرة على حاجز رملي.»

سألتها كارولين: «وماذا... ماذا كنت تفعلين هناك؟»

أجابت: «كنت واقفة انظر إلى البحر وأفكر، وفجأة، وجدت نفسي محاطة بالمياه. ان بامكاني السباحة، ولكن المياه كانت باردة وكنت أخشى ان اتلف الساعة الجميلة التي اهديتيانيها في ذكرى مولدي، انت وداني.»

ابتسمت كارولين لروي شاكرة، وقالت: «لقد كنت رائعاً يا روي! ديانا، ها انت ذي قد تذكرت الساعة.»

قالت ديانا وهي تتنهد سعادة: «آه، نعم، لقد وجدت فجأة انني اتذكر كثيراً من الأشياء.»

قالت كارولين وهي ترتجف: «آه، ما اجمل هذا يا عزيزتي، ولكن لماذا جئت لتفكري على الرمال؟»

أجابت: «كنت أفكر بادوارد وماذا كان فعل...»

حملقت كارولين فيها قائلة: «هل تتذكرين هذا؟»

أجابت: «نعم، انني اتذكر. لقد حاولت ان احلل شعوري نحو ذلك الآن. ان ذهني مشوش قليلاً. لقد قال جدك انك ستتزوجين. هل ستتزوجين ادوارد؟»

توجهت عينا كارولين نحو ذلك الشخص البعيد، كان يبدو بمثل ما تشعر به من الوحدة، وأجابت وهي تشعر بأن الحياة هزمتها: «كلا.»

قالت ديانا بحزم: «بل عليك أن تتزوجيه، وعليه هو أن يتحدث إليك بتعقل، لقد كان يحبك كما لم يحب رجل امرأة.»

قالت كارولين بخشونة والدهشة تتملكها لشفاء ديانا: «ان هذا ليس صحيحاً.» لقد كان جدها على صواب، فمنذ صدمتها برؤية ادوارد وحالتها تتحسن يوماً عن يوم. وربتت ديانا على ظهر كارولين بعطف، قائلة: «ولكنك تحبين ولدي ادوارد، أليس كذلك يا عزيزتي؟»

تمتمت تجيبيها: «نعم، انني احبه، ولكنه لا يحبني.»

قالت ديانا: «آه، ولكن من هوذلك الشخص هناك عند كثبان الرمل؟»

أدركت كارولين من عينيها أنها عرفته، فقالت: «انه ادوارد.»

قالت باسمة: «ألا تظنين أن عليك أن تخبريه أنني بخير؟ لا بد أنه قلق جداً عليّ.»

قالت كارولين ذاهلة: «لا أظن...» وترددت وقد لمعت عيناها، ان لديها فرصة الآن للحاق به واخباره بأن بامكانها الآن أن تجعل كل شخص في المدينة يعلم أنه لم يكن يقود سيارته...

قال روي بمرح: «هيا اذهبي. وأنا سآخذ السيدة تروتسكي إلى منزلي واعتني بها. انني حسن التصرف مع كبيرات السن.»

قالت ديانا بسعادة: «ما أجمل هذا، ولكنني لست كبيرة السن كثيراً.»

قالت كارولين وعيناها تلمعان بالدموع: «سأخبر ادوارد عنك. ولكن لماذا لا اراك حزينة من ناحية ادوارد؟ لقد كنت من قبل...»

قاطعتها ديانا قائلة: «لقد كنت اشرح الأمر لروي. لقد كان من عنف صدمتي برؤية ادوارد في الحديقة أن عادت إليّ ذاكرتي. لقد بكيت حينذاك، من السعادة، يا كارولين، وقد طلبت منك أن اذهب إليه...»

قالت كارولين شاعرة بالخيبة: «لقد كنت تتحدثين بالإيطالية فلم افهم ما قلته.»

قالت: «اعلم ذلك، وكذلك الطبيب لم يفهم، ولكنني لم استطع أن اتصرف كما ينبغي في ذلك الحين، إلى أن تخلصت من الصدمة، وبعد ذلك تحدثت طويلاً إلى جدك. انني اعرف مقدار تكريسك نفسك لي طوال السنوات الماضية. لقد كنت رائعة وقد

احببتك لذلك. اذهبي، لأجلي، إلى ادوارد واخبريه كم أحبه.»

أجابت: «ولكنني سأحضرة اليك. لا بد انك تريدين ان تعانقيه... ان تتكلمي إليه، أن...»

استحثتها ديانا قائلة: «كلا، الحقي به الآن. ان جميع ملابسي مبللة وسأصاب بالتهاب رئوي إذا أنا بقيت اكثر من ذلك. اخبريه أن روي سيأخذني إلى بيته وهو سيأتي لرؤيتي هناك. انما لا اريده ان يستعجل، فأنا اريد ان أسوي من مظهري لأبدو أنيقة امامه.»

وركضت كارولين وهي تضحك لرغبة ديانا في أن تبدو انيقة امام ادوارد، وكأنه يهتم بهذا. واسرعت في الركض خشية ألاّ تستطيع اللحاق به لتحدثه باخبارها الطيبة. وكان هو يمشي متمهلاً ما ساعدها على قطع مسافة حسنة. ولكنها ما لبثت أن رأته وقد وصل إلى سيارته. التقطت حجراً وقذفته بعنف وبكل قوتها، فاصطدم بالسيارة في اللحظة التي كانت تتحرك فيها.

صرخت: «ادوارد.» وعندها أوقف السيارة ثم قفز منها يمزقه الغضب. ألقت بنفسها على السيارة وقد تملكها الارهاق.

زمجر وهو يشير إلى الانبعاج الذي احدثه الحجر في جسم السيارة: «انظري إلى هذا. ما الذي تفعلينه؟ ولماذا تركت أمي؟»

أشرق وجهها بابتسامة سعيدة وهي تقول: «هي التي قالت لي أن الحق بك.»

رقت نظرته قليلاً وهو ينظر إليها قائلاً: «انك مبللة الثياب.»

أجابت: «وكذلك أمك، وهذا هو السبب في ذهابها إلى البيت بسيارة روي. انه سيعيدها إلى بيته لكي تغير ملابسها المبللة قبل... قبل ان تراك. انها بخير الآن يا ادوارد. وقد قالت انها عرفتك. هي تقول انها تحبك وتريد أن تراك.» وبدا هو وكأنه لا يصدق ما يسمع. وأمعن النظر في وجهها وكأنه يبحث عن الحقيقة. وعندما وجدها، ارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة سعيدة، بينما تابعت هي قولها: «لقد كنت أنت على صواب، وكنت أنا على خطأ. لقد كان وجودك بجانبها كل ما كانت بحاجة إليه لكي تستعيد ذاكرتها. انها تحبك. ان لديك حب أمك وأنا سعيدة لأجلكما جداً. ان عليك ان تبقى في المدينة الآن...»

قال باكتئاب: «لا استطيع.»

قالت والحب يملأ عينيها: «بل تستطيع. ربما وجودك معها يجعل رحيلي اكثر سهولة.»

سألها: «ماذا تعنين بكلمة (رحيلك) هذه؟»

ابتسمت بحزن وقالت: «انني احبك، وهذا هو السبب في أن عليّ أن أرحل، فوجودي هنا سيسبب الارتباك للجميع. ان بامكاننا، انا وجدي، ان نجد بيتاً في مكان آخر.»

سألها بخشونة: «ولماذا؟»

أجابت: «انك ستتزوج يوماً ما، وأنا لن اطيق التفكير في انك مع امرأة أخرى. انني أعلم أن هذا الشعور مني هو شيء سيء، ولكن هذا هو الواقع. فالأفضل لي إذن أن أبتعد. لقد احببتك على الدوام ولم يتغير شعوري هذا قط، حتى عندما ظننتك جباناً، بقيت على حبك، وهذا هو السبب في تألمي الشديد عندما رأيتك تكذب لكي تنقذ نفسك.»

سألها وقد ضاقت عيناه: «هل قلت انك ظننتني جباناً؟»

أجابت: «نعم، فقد ذهبت لرؤية والديّ جوليا. لقد تدهورت حالتهما المادية.» ونظرت إليه بقلق تسأله: «لا أظن هذا من صنعك. أليس كذلك؟»

أجاب: «كلا، اعتقد أن أباها كان أفلس جزئياً، ولكنه أخذ يستثمر امواله بعدم حكمة.»

رفعت وجهها القلق تنظر إلى وجهه، ولكنه كان جامداً وبصلابة الحديد، فقالت بحزن: «انهما في منتهى التعاسة، واظنهما يتمنيان لو نطقا بالحقيقة منذ زمن طويل.»

قال: «الـ... حقيقة؟»

أجابت: «نعم. لقد شرحت لهما سبب ذهابي إليهما، فاخبراني بكل شيء. لقد تأكد لي صدق كلامك، يا ادوارد. لقد قالا انهما شاهداك تقود السيارة ببطء شديد بينما جوليا تضربك بذراعيها بعصبية بالغة، شاهداك تحاول أن تتمالك أمر السيارة، ثم انحرفت بها بعد أن كدت تصدم أحد المشاة، والذي أصبح أحد الشهود، فأوقفت انت السيارة، وألقيت المفاتيح لجوليا ثم ابتعدت. وبعد لحظة، قادت هي... قادت السيارة نحوك لكي...» ولم تستطع كارولين أن تستمر، وأخذت تغالب دموعها.

قال عابساً: «لقد قفزت خارج الطريق، فانحرفت جوليا بالسيارة وصدمت سيارة اختك.» وتابع القصة التي كانت تعرفها الآن جيداً: «لقد شعرت وكأنني أنظر مرة أخرى إلى مقتل عمي في ذلك الحادث. وكنت أضع يدي على مقبض باب سيارة اختك عندما رأيت خزان وقود سيارتي قد انفجر ناثراً البنزين في كل مكان.»

قالت: «لقد قالت جوليا انك عدت فقفزت إلى سيارتك ودفعتها من طريقك...»

قال بخشونة: «انها لم تشأ أن تتحرك. كانت ترتجف من الصدمة، كان عليّ ان اتصرف بسرعة، أن أكون خشناً، ففتحت الباب بعنف، ودفعتها خارجاً، ثم أرجعت السيارة إلى الوراء لكي أمنع انفجارها ونفث النار على اختك فيرا و... طفلها. لقد كان ذلك كابوساً، انني لن أنسى ذلك ما حييت.»

قالت: «ثم أحاط بك الناس، وتوجه الاتهام اليك. والآن، والدا جوليا على استعداد للشهادة، وكذلك هي، وستعلن براءتك.»

قال: «جوليا؟ ولكن...»

قاطعته قائلة: «انها، وكذلك والداها، مازالت حياتهم تعيسة منذ سجنك. لقد فتك بهم الشعور بالذنب كالسرطان. لقد اقنعتهم بأن علم التحليل النفسي لن ينفعهم قبل أن يواجهوا مسؤولياتهم من ناحيتك. قلت لجوليا بأنها مديونة لي بصفتي صديقتها، لأنني احبك واريد ان يعلم كل انسان بانك لم تقتل فيرا وطفلها. لقد سألت وليم زوج ماري هاتفياً عما سيحدث لها إذا عادت عن شهادتها الأولى، فقال انه يظن ان المحكمة ستتسامح معها، ولكنني لا اظن ان جوليا تهتم بذلك. ان كل ما تريده هو اصلاح الأمر. وقد اخبرتها انها مازالت شابة وبامكانها ان تبدأ حياتها بصفحة جديدة.»

قال وهو يرتجف: «كارولين... هل قمت بكل هذا لأجلي؟ رغم أنني...»

أشرق وجهها، شاعرة بالسعادة لأجله وقالت: «وهكذا، لن أبقى قريبة منك، يا ادوارد. انني لن اجعل أمر ابتدائك بحياة جديدة، صعباً عليك، انني... سأرحل.»

قال ذاهلاً: «ولكن هذا غير معقول يا كارولين؟ انك انت حياتي الجديدة. اننا مخطوبان. اتذكرين؟ انك تلبسين خاتمي.» ونظر في عينيها وقد تصلب فمه وهو يتابع قائلاً: «ليس ثمة امرأة تهرب مني.»

اتسعت عيناها وقد فاض منهما الألم وهي تقول: «كلا، لن اتزوجك. فأنا لا اريد أن تنفذ اتفاقية معي لمجرد حفظ كرامتك.»

أطلق ضحكة خشنة وهو يقول: «كرامتي؟ هل لك ان تقبلي حبي بدلاً من ذلك؟ كارولين، ايتها الحمقاء... أيتها الحمقاء الرائعة العنيفة الشجاعة... كل شخص في اورنتي يعلم انني احب التراب الذي تمشين عليه. أليس لديك أية فكرة عن هذا؟ ماذا عليّ أن افعل لكي اجعلك تصدقينني؟»

قالت: «انك كنت تحب جوليا، هذا هو الأمر، وقصتها عن توسلك اليها لكي تقبل برفقتك قصتها تلك بعد ذلك الحادث حطمتني... انني بقيت واقفة بجانبك، ولكن كل شخص اخذ يقول انك رجل سافل للطريقة التي عاملتني بها، وهكذا ابتدأت اصدقهم. اظنك مازلت تحبها.» ونطقت بالجملة الأخيرة بحزن بالغ.

تمتم: «اقسم بشرفي أنني لم احبها قط.» فرفعت نظراتها إليه وعيناها تلمعان بدموع لم تنهمر. فابتسم لها بحب، وسألها برقة: «ألم تقل لك شيئاً عن موضوع جدالنا في السيارة؟»

قالت: «نعم، لقد طلبت منها أن تقنع أباها بأن تموّل تعليمك الجامعي...»

قال: «كلا، هذا كذب. لقد تشاجرنا لأنني رفضتها، يا عزيزتي. فهي لم تصدق انني ساتصرف بهذا الشكل، لقد كانت هي التي كانت ترفض الشبان وليس العكس. لقد شعرت بجرح كرامتها عندما تركتها لأجلك. وكل تلك الشائعات عن انني مجنون بها، ليست صحيحة.»

سألته بهدوء: «ماذا حدث إذن؟»

أجاب: «في تلك الليلة المصيرية، اقتربت مني حيث كنت أتناول الطعام، وطلبت أن تحدثني على انفراد. وعندما صعدنا إلى السيارة، ابتدأت بمغازلتي فاخبرتها بأنني أحبك أنت، فانتفضت. لقد عرضت عليّ الزواج والمال، فقلت انني لا أبيع نفسي، فأخذت تضربني... عند ذلك ألقيت إليها بالمفاتيح وخرجت من السيارة.»

سألته: «ألم تكن إذن تخرج مع كل منا؟»

أجاب: «كلا بالطبع.»

قالت مترددة: «ولكن... عندما عدت إلى المدينة، والقيت عليّ قطع النقود تلك، عاملتني كما تعامل شيئاً قذراً.»

قال: «لقد كان هذا قصدي في البداية. وقد غضبت على نفسي إذ وجدتك جميلة بهذا الشكل. لقد كنت عدت لكي استرضي أمي واعلن لك احتقاري واذيقك الشقاء، لأجدك قد اصبحت اجمل مما كنت اعرفك، ما جعلني عاجزاً عن المقاومة. لقد كرهتك بعد إذ افسدت خطتي التي كنت صممت عليها. أردت أن أسيء اليك، ان احبك... كل ذلك في وقت واحد.»

قالت باسمة: «حتى انك اخبرتني مرة انك تحبني.»

قال: «في محل ماري؟ نعم، وكنت اعني ذلك بكل معنى الكلمة يا كارولين.»

فنظرت في عينيه ورأت الحقيقة فيهما. فهمست وهي تهتز تأثراً: «ادوارد.» كانت السعادة تسري في كل خلية من جسدها، وابتسم لها قائلاً: «وهكذا كان ان اشتري لك خاتم خطبة مقسماً لك يمين الحب والوفاء. ولقد شوشت عقلي بتناقضاتك. فقد كنت متأكداً، من انك تشعرين بشيء ما نحوي، وان بامكان الحب ان يجمعنا مرة أخرى، ولكنك رفضت بكل عناد ان تقولي انك تحبينني، على الأقل ليس بالشكل الذي أردت سماعه منك.»

سألته: «ما الذي جعلك تقول انك لم تعد تريد رؤيتي وانك سترحل؟»

أجاب: «لأنني لم اعد استطيع احتمال رؤيتك دون ان استطيع اظهار مشاعري لك. كان ذلك يعذبني إلى حد لا يصدق.»

قالت: «وهذا ما شعرت به انا أيضاً وهو ما جعلني أصمم، مثلك، على الرحيل.»

قال باستغراب: «ثم انك وجدك، قد رعيتما أمي كل تلك السنوات؟»

قالت: «انني أحبها كثيراً، انها رائعة.»

تمتم يقول: «سنحبها نحن الاثنين. ان أمي وجدك وأليكسا يمكنهم ان يعيشوا معنا إذا شاؤوا، وكذلك والداك إذا هما أرادا العودة. ان عليهما على الأقل، ان يقوما بزيارة ليحضرا عرسنا.»

رمقته بنظرة جانبية خجلى وقالت: «العرس؟ العرس في مدينة اورنتي حيث الزواج دائم لا ينفصم؟»

فقال ضاحكاً برقة: «ولكن ترتيبات العرس هذا كادت تُلغى. أليس كذلك؟ ان لديّ ملفاً ببطاقات الدعوة.»

ضحكت بعصبية، فعاد يقول: «والآن، يا حبيبتي، بامكاننا أن نتابع اجراءات الزفاف، وبناء مركز للأحداث، و...»

قالت: «لقد كنت فكرت في قاعة للمطالعة لمساعدة امثال آدم.»

قهقه ضاحكاً، وقال بعطف: «نعم، نعم. والآن عليك ان تنسي، ولو مرة واحدة، شؤون الغير وتفكري في نفسك قليلاً. فكري في قائمة المدعوين إلى العرس، في فتيات الأزهار... بيوم عرسنا...»

تمتمت تردد قوله بسرور، حالمة: «يوم عرسنا، في اورنتي.»

قال ادوارد بهدوء: «نعم، في اورنتي.» وغمرت كارولين مشاعر الحب والسعادة العميقة، وهي تفكر في الحياة المقبلة عليها مع الرجل الذي تيمّها بحبه.

تمـــــت

www.elromancia.com